الأعمال الكاملة

الشعر ٢

بدر الديب



المجلس الأعلى للثقافة

إهــــــــداء ٢٠١٠
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

المجلس الأعلى للثقافة

بدر الديب

الأعمال الكاملة

الشعـر

المجلد الثانى



٢٠١٠

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الديب ، بدر

الأعمـال الكاملة .. الشعر .. بدر الديب.

القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ط ١ ، مج٢ ، ٢٠١٠

٢١٢ ص ، ٢٤ سم

١ - بدر الديب - المؤلفات الكاملة

(أ) عبد السلام ، كريم (مقدم)

(ب) العنوان ٩٢٨,١

رقم الإيداع ٢٠٠٩/٢٠٤٧٨

الترقيم الدولى I.S.B.N. -978-977-479-628-7

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التى تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هى اجتهادات أصحابها ، ولا تُعبر بالضرورة عن رأى المجلس .

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 27352396 **Fax :** 27358084

www.scc.gov.eg

- مقطوعات مرغمة

- معجزة كل يوم

- عودة حرف الـ «ح»

- تاريخ قديسة

- نزهة قمرية

- قصائد متفرقة

مقطوعات مرغمة

المحتويات

بدر الديب والمطلقات الثلاثة

يمثل عمل بدر الديب الشعرى جناح التجريب القوى فى الشعر المصرى، بدءاً من «حرف الـ ح» ١٩٤٨ ومروراً بـ «تلال من غروب»، «السين والطلسم»، «المستحيل والقيمة» وانتهاء بـ «مقطوعات مرغمة»، وهو عمل سامق بكل المقاييس. حتى لو أنكره كثير من كهنة عمود الشعر التقليدى الذين يمثلون مفارقة كبيرة. فبينما هم يزعمون الدفاع عن قيمة العروض المطلقة فى الشعر، من وحدة البيت إلى وحدة التفعيلة، يغفلون التطور المتلاحق الذى دخل على الشعر العربى فى كل نقلة حضارية. وضمنا على العروض والأوزان فى مجمل عمل بدر الديب الشعرى تأسيس وتواصل واندفاع باتجاه الحرية فى الشعر والإضافة فى الشعر والإيمان بالشعر نفسه، ربًا سابقًا على كل رب، وأزعم أن اتجاه بدر الديب هذا ـ لو قدر له الذيوع والتلقى الإيجابى منذ خمسة وخمسين عامًا، لما صار الشعر المصرى الآن على صورته الكاريكاتورية: هامشًا فاعلاً، ومتنًا شائخًا فاسداً تافهًا. ولتشكل لدينا رافد عريض من البدهيات والمفاهيم والنتاج الشعرى، مما يمكن البناء عليه والإضافة إليه. مثلما تحقق الأمر مع حركة «شعر» فى لبنان ومؤسسيها الذين لم يكونوا فى بداياتهم على نفس الموجة العالية التى حملها بدر الديب إلى الشعر العربى.

لم يكن «حرف الـح» بداية، مجرد نتاج يتيم لمبدع ومثقف نوعى فى شبابه المبكر. بل كان البشارة للشعر الحر فى العربية. وأنكرت البشارة وأنكر صاحبها الذى طفق يبحث

عن مستقبلين لبشارته. حاملاً الحزن والأسى اللذين حملهما بولس الرسول من إنكار مدينته له ولما يدعو إليه.

كان «حرف الـح» بشارة وعلامة على طريق طويلة. عبَّدها بدر الديب بأعماله المتواصلة بعد ذلك، والتى كان مصيرها للأسف الشديد، الإنكار الذى صادف «حرف الـح» سوى قلة قليلة من القراء الفاهمين، تلقوا هذه العلامات كما يجب أن تُتَلقَّى، فى محيط لا يناسبها، وببطء. مثلما تنسج دودة الحرير شرنقتها. كانت ذائقة سليمة تتشكل. من أجيال جديدة تفتح وعيها حول قراءات تخالف السائد، ومن ثم التفتت واجتمعت حول أعمال بدر الديب. وأحدثها عمله الشعرى البديع «مقطوعات مرغمة» الذى يصدق فيه ما جاء فى «لعبة تودد الجارية» ألعن ما تضرب به الروح، الذوق.

يحضر فى «مقطوعات مرغمة» كثير من مرتكزات بدر الديب التعبيرية الجمالية واللغوية ويتواصل فيه إبداعه الفكرى الموازى لحضور الشعر، لكننا نلمس أكثر من أى شىء آخر ثلاثة مرتكزات أو ثلاثة مطلقات تمثل الثالوث الأساسى الذى يقوم عليه عمل بدر الديب الشعرى: مطلق الشعر والتفكير والمرأة

مطلق الشعر

يرى بدر الديب الشعر فى موضع الآلهة. يستحق أن يُعبد أولاً. فكل شىء مع الشعر موصول. لا توقف فيه ولا خلل، هو الذى يحيى الوجود ويقيمه ويعطيه فى نفسه القيمة وإن حاولوا جميعًا سحبها منه.

الشعر لديه، هو الأعمق والأصلب والأسهل والأبسط والأمهر والأجمل والأشمل

والأكمل، ذو الجلال. يوصى ولا يوصى عليه. يحـمى ولا يُحمى. يحيط ولا يُحاط به. هو المتعدد المتنوع المتجدد. هو النسغ الحى فى النبـات. وهو الشوق إلى المجهول لدى الإنسان، هو المستحيل وهو السعى خلف المستحـيل. هو القيمة الموضوعة وهو دم الحب الذى يتدفق خلالها فيكسبها القيمة.

الشـعر لديـه إرادة أعلى من كل إرادة ومـحرك أسـبق من كل مـحرك يـقيم الوجـود ويحييه ويعطيه فى نفسه القيمـة. وذلك فى دورة مدّه، أما فى دورة جزره وغضبه وانسحابه فتنسحب كل قيمة من العالم، بل قد ينسـحب العالم نفسه ولا يعود له وجود. إرادة كهذه. إرادة الشعر تستحق أن تُقدس وأن يبشّر بها الشـاعر فى مجمل عمله وإن كان تجليها يرتبط بمشيئة لم تُجلَ أسرارها إلى الآن.

مطلق التفكير

«التفكـير هو سر عظمـة الإنسان» عـبارة لبدر الـديب وله « أيضا التفكـير يجب أن تكون له قداسة كالقداسة التى تنسب إلى الآلهة، فهو أعلى من أى مقدس ومن أى مطلق، وهو فى نفس الوقت صانع الوهم والخطأ، مُسقط الإنسان فى الخطيئة».

وله: «ضع التفكير على الوجع يخف وامسح بالتفكير الجرح. يصبح احتماله ممكنًا».

وتشيع فـى نصوص بدر الديب كلهـا عبارة «القـول الثقـيل» ويعنى بها فى الحـقيقـة مركب مطلقين ـ إذا جاز التعبير ـ المطلق الأول هـو الشعر والثانى هو التفكير. فكل أشعار بدر الديب، بل كل نصوصه. قطع فلسفية رفيعة. تـتجلى فيها الحكمة المركزة المكثفة التى ـ بحـسب قـولـه ـ كالكريسـتـال أو كـالسكر المركـز. لا تُؤكل ولا تُشرب، بل تجـرح العـين واللسان وتفرض الصمت والنظرة الساكنة.

فى كل عمل الشاعر وخصوصًا فى «مقطوعات مرغمة» انسياب للوعى وتلاحق من الكشوف العقلية والتقاء علاقات بكر. لا تلتقى إلا فى قلبه المتوهج. وأعنى بالقلب هنا موضع التقاء العقل والروح والبصيرة.

فى قصيدة «مجنون ليلى» من مقطوعات مرغمة. يقول فى فاتحتها:

«كل عشق جريمة ترتكبها الروح

بلا مبرر أو هدف» .

هذان البيتان يمتلئان بالعذوبة وبدم الشعر وفى نفس الوقت يمتلئان بالكشف العقلى الذى يفسره الشاعر فى متن القصيدة تفسيرًا يخالف المألوف والمستقر. والمتعة التى نُحصلها من هذين البيتين ليست متعة سبق تحصيلها، مثلما يحدث مع تلقى الغنائيات المتراكمة فى الشعر العربى قديمه وحديثه. بل هى متعة بكر. كلما سعينا خلفها أو توهمنا أننا قاربناها أو قاربنا أطيافها. ومن طول ما درنا حول هذه الأطياف، خُيِّل إلينا أن عذوبتها التى نحسها فى أرواحنا قديمة وموجودة ومتاحة أمام أنظارنا، بل كشفها أمامنا الشاعر. فرأينا وجودها المستقر، واستشعرنا عذوبتها، وإلا كيف يكون كل عشق جريمة؟ كيف نستعذب المخالفة لكل ما اعتدناه فى العشق؟ كأنما هذه المخالفة المبتكرة التى يسوقها الشاعر هى الأصل والتراث الممتد العريض حولنا وفى أدمغتنا عن العشق!

إن قدرة الشاعر على الكشف، على اجتراح الحكمة وتركيزها، على استخلاصها، وقدرته على إعمال التفكير، تجعل لنتاجه الشعرى وهجًا ساحرًا عذبًا. يخالف كل ضوء آخر قد يأتى من العاطفة المشبوبة وحدها، أو من مهارة ودربة الشاعر الذى يعزف بتمكن على أوتار سبقه إليها آخرون. وهذا ما أقصده بالتقاء الشعر والتفكير عند بدر الديب فى مركب مطلقين : العمل الناجح للعقل والروح معًا فى لحظة واحدة.

مطلق المرأة

المرأة لدى بدر الديب باعث للوجود، وأعلى بكثير من الرجل. أليست هى الحاملة للرحم، المستحيل الذى يمتلكه الرجل لحظة ثم يفقده ويظل يسعى خلفه طوال حياته مثل سعى «قمر الزمان» خلف جوهرة السروال الحمراء. فى «المستحيل والقيمة» سعى لا يصل إلى غايته أبداً.

يظل الرجل فى سعيه الدائم خلف المرأة المتعالية، يخترقها ويستعبدها فتظل بكراً رغم كل اختراق. «فكل امرأة بكر» وتظل إلهة لا يدانيها إلا المحب. فالمحب وحده المقدر له أن يجاوز قصوره وأن يصل إلى تعاليها، أليس المحب هو المنتصر على الموت نفسه بالتصالح معه: «عندما يبطل الحوار، نريد أن نموت، وعندما يندفع الحب يبطل الحوار» ـ «حرف الـ ح» المحب العظيم، هو الشاعر العظيم، والحب دين بدر الديب ومنهجه فى الاقتراب من المرأة المتعالية، فمقاربتها هو التعويض الوحيد والبلسم المتاح لعدم العودة إلى الرحم. والوصال طريق الإبقاء على الوجود قريباً من حضن الإلهة ونعمة رحمها. العذراء دخل عليها الأسد ليفترس. فمسحت على لبدته بكفها فنام الأسد، ولما نام ذبحته العذراء، ولو دخل الأسد إليها محبًا لأعطته نعمتها. لأخلدته.

تعريف واعتراف

عندما وصلت إلى هذا العنوان لهذا المجموع من المقطوعات أحسست أننى حققت إنجازاً تعبيرياً ولغوياً وأننى بلغت قدرا خطيرا من الصدق مع نفسى ومع الكتابة وتفتقت أمامى طرقات ومعان كثيرة متعددة لم أكن أستطيع أن أجمعها فى عنوان واحد غير هذا العنوان. هذه الراحة والسرور بالعنوان هما اللذان يدعواننى الآن إلى كتابة هذا التعريف والاعتراف رغم عدم صلاحيتى الذهنية ـ بسبب المرض ـ للكتابة وللتفكير المركز.

وعلى الرغم من أن العنوان نفسه مشقل بالمعنى وباحتمالاته فإننى سأحاول أن أتجه اتجاهاً عملياً وأتناول مسألتى التعريف والاعتراف أولاً وكمقدمة لفكرة الإرغام.

مجال الكتابة يصعب فيه الإرغام إلا إذا كان الكاتب يعنى المعانى السطحية واستخدام السلطة الخارجية. ولا أظن أن هذا كان مقصوداً فى اختيارى للعنوان أو فيما أحسه وأعرفه بأن المقطوعات كانت مرغمة.

المقصود بالإرغام كما أفهم حتى الآن أن الإرغام نابع من داخل القطعة نفسها لتعبر عن نفسها أو لتسجل ذاتها أمام الكاتب أولاً ـ وقبل القارئ نفسه ـ فالقطع بمعانيها وما تتوصل للتعبير عنه مرغمة، أى أن ما تعبر عنه قد بلغ الروح رغماً عنها ودون تدبر أو قصد كاف. وهذا ما دفع إلى إثارة قضية المسئولية فالكاتب كان مرغماً فى كل حديثه عن الموت وعن معنى المستقبل وعن عودة الماضى وعن دور الرحم فى تحقيق الخلاص ومعنى الاكتمال فى الموت، فكل هذه المعانى تولد غير مكتملة إلا بالرغم. وفى الحقيقة أنها تولد

غير كاملة ولكنها مرغمة. وهنا فارق دقيق أرجو أن يتوقف عنده القارئ قبل أن يمر سريعًا عليه أو أن يهمله.

فهل الإرغام جزء من طبيعة أو ظاهرية الكتابة. وهل هو نتيجة متفرعة عن طبيعة اللغة التى تقيم دائمًا بين التفكير والتعبير مسافة أو مساحة لايمكن التخلص منها تماما. وأن هذه المسافة بطبيعتها تكوّن الإرغام أو تنعكس فيه. أليست هذه قضية صعبة يجب على القارئ أن يتحمل مسئولية التفكير فيها دون أن يلقيها ببساطة على الكاتب؟

فالتعريف هنا أولاً واجب أحس أنه ضرورى بالنسبة للكاتب وأن هناك إهمالا لأدائه من جانب الكتاب المحدثين اعتمادا على نظريات نقدية مبتسرة تتحدث عن الحداثة وعن العمل المفتوح وعن تعدد القراءات وعن حق النص فى أن يظل مغلقا على نفسه.

ويبدو لى أنه على الرغم من كل ما فى هذه النظرات النقدية المبتسرة والتى لايمكن أن تكون نظريات أصلية أو متكاملة فإن ترك النص دون تعريف من الكاتب للقارئ هو تقاعس لا حق للكاتب فيه وأنه إهمال لأداء واجب. وليس المقصود بالتعريف هنا هو تحديد المعنى أو المقصود وإظهار ما قد يكون مضمراً أو مخفيًا فى النص، لكن المقصود هو تعريض الكاتب لثقل وواجب الاعتراف بما هو فى نفسه وما يريده أو ما دخل إليها على الرغم منه مع التفكير والتدبر قبل الكتابة وبعدها.

وقد أدت الاتجاهات الحديثة إلى زيادة فى المخفى المضمر والمبالغة فى الإشارات المختصرة إلى نصوص ومعان أخرى من خارج النص وإلى فتح النص لروافد ثقافية متعددة دون التحكم فى ضرورتها ومعانيها وعلاقتها بالنص الرئيسى أو المعنى الرئيسى - إذا كان هناك معنى رئيسى أو مقصد محدد. إذا كان وجود هذا المعنى والقصد ممكنا أو واقعًا.

فمع هذا الانفتاح على النصوص الخارجية وعلى التاريخ وعلى الأسطورة وعلى الاقتباسات أو الإشارات إلى النصوص الأخرى الخارجية يزداد غموض النص على القارئ ويزداد إصرار الكاتب على الإخفاء الذى لا حق له فيه لما قصده.

فلنبدأ أولاً بالاعتراف:

هل هو ممكن وصحيح؟ قد لا نستطيع أن نجيب على هذا السؤال إذا فكرنا جديًا فى حدود الاعتراف وكماله، ولكنى مهتم أساسًا بضرورته أى أنه ضرورى وعلى هذا فهو ممكن وصحيح فى حدود ما ينجز منه مع الاعتراف مقدمًا بأنه بالضرورة ناقص ويخفى الكثير مع ما يظهره أو يقربه.

وحتى لا أطيل الاعتراف فإننى أقول مباشرة إن كل هذه القطع قد خرجت على الرغم منى، أى أننى لم أقصدها أولا ولم أتدبرها كثيرا ولكنها تكونت بداخلى وأرغمتنى على أن أضعها على الورق فى ظروف صعبة ودون حساب لأية مواصفات أو تقاليد أو مصطلحات كتابية فنية. فأنا لم أقصد أن أكتب شعراً فى إطار التراث العربى أو فى إطار المحاولات الحديثة، أى بسماح من الحريات التى اغتصبها الكاتب الحديث من القارئ.

لقد خرج المقصود بها رغما عنى ورغمًا عن الكلمات نفسها لأن النص كان يفرض نفسه أحيانًا بأجزائه وبوقفاته وبتقطعاته وبإشاراته الداخلية الخفيفة التى كنت أحرص ما دمت عرفتها أن أضعها على الهامش، وقد وضعت فى الهامش النصوص الأصلية المستعارة ما دامت حاضرة فى ذهنى. والمهم هنا أننى أقول إن من حق القارئ أن تقدم له هذه الهوامش ليتصرف بها كما يريد بعد ذلك.

وهذا هو أول اعتراف، أما ما يلى ذلك فهو أن التعبير نفسه، أى الشعور المتضمن والفكرة القائمة فى النص هى فى الأصل شعور داخلى كأنه إصابة بدنية وهذا أقرب تشبيه له.

فهـو بالفعل إصابة بدنية يـحسها الكاتب فى أمـعائه أو بطنه كمـا يحسها فى قلبـه وروحه وتختلج بداخله كأنها موضـوعة مسكوبة فى إناء خاص لاشكل له إلا الشكل الذى أخذته الكلمات، وهذا معنى صعب يحتاج، فى الحقيقة، إلى ممارسة طويلة للاعتراف وإلى تطبيق وتحليل النص الجزئى قد لا أحتمل الآن الدخول فيه.

أما المرحلة الثالثـة من الاعتراف فهى أعقـد وأصعب لأنها تتعلق بوجـود النص نفسه وما يفرضه على القارئ من وجـود فليس المهم هو المعنى، بالمعنى البسيط للمعنى، ولكن المهم هو خط التواجد أو الظهور الذى يحاوله النص ويحاول أن يفرضه على القارئ، إذا ما وثق القارئ بنفسه وترك للمعنى أن يفرض نفسـه عليه، وهذه تجارب متعددة تظهر فى كل نص من نصوص المقطـوعات وتصبح بارزة بروزاً صـريحًا فى مثل قطعـة «إلى كل بكر» أو فى قطعة «الإله المجهول لبولس الرسول»، بل ودون مبالغة فى كل قطع الموت وممارسته ومعاناته.

أما المرحلة الرابعـة والأخيرة من الاعتـرافات فهى عودة إلى فكرة الإرغـام التى أكرر فيها للقارئ أننـى كتبت ما كتبت مرغمًا ودون إرادة حـرة مستقلة متزنة ومسئولة مسئولية كامـلة، فلست مسـئولا بوضـوح عن كل ما فى المقطوعـات من معـان لأننى فى الحـقيـقة وجدتها تظهر فى رأسى كقطع من حجر أو كأضواء خفية من عوالم بعيدة.

والآن وقد بدأت أحس بوطأة المجهـود الذهنى وما أثاره من معان لم يتم التعبـير عنها تعبـيراً كـاملاً فـإننى أستطيع القـول إننى مزجـت ـ نتيجـة للجهـد الذى شعـرت به ـ بين التعريف والاعتراف.

جمعت الهدفين معًا ولا أستطيع الجزم بأننى قد وفيـتهما حقهما كاملاً لأن الاعتراف الذى يقوم به الكاتب هو أمر لا يتوقف إلا بعد وفاته وبعد توقف القلم أو العقل تمامًا، كما أن التعـريف هو أمر لا ينتهى إلا عند رفض القـارئ تماما للمكتوب أو عجـزه عن أن يجد لنفسه منفذاً فيه.

يبقى ناقصًا بعد هذه الأسطر تلك الإشارة التى بدأت بها عن معنى «مرغمة» وضرورتها وعما ترتب عليها من إثارة قضية مسئولية الكاتب عما ورد فى المقطوعات وكتابة هذا الجزء الذى ظل يحاورنى ويحيرنى عدة أيام يتطلب مزيداً من الصبر والقدرة على المصارحة والمواجهة فما هو المعنى الحقيقى لأن تكون المقطوعات مرغمة؟

فالإرغام يتطلب أن يكون هناك من يرغم وإذا كانت حياة الإنسان مليئة بالإرغام يتشخص فيها كثيراً من يرغم. وقد تكون المسألة هنا هى فى التساؤل عما إذا كان ما عبر عنه هو المقصود تماما أم أنه فى جانبه الأكبر قد أخفى أو تجاوز عن مساحات كبيرة من المعنى فرضت نفسها بالرغم وفرضت خفاءها أو نقصها وعدم اكتمالها. فهل يمكن للمرء ألا يفكر فى الموت وفى الماضى وفى المستقبل وهل إذا فكر فيها فسيكون حراً تمامًا غير مرغم، وهل عندما يفكر فيها فإن عليه أن يتحمل مسئولية كاملة عما يقول؟ ولست أدرى كيف يمكن أن يكون المرء مسئولاً عن لعنة المستقبل أو اكتمال الماضى وهى معان ترددت كثيراً فى المقطوعات، ولا أظنها ستنتهى عن التردد فيما سأكتب بعد ذلك.

الكتابة من هذا النوع تمارس التفكير الفلسفى أو المعيشة الفلسفية على أنها جزء وبُعد أساسى فى التعبير وفى النقد، إن لم يكن فى المسئولية، فلا يمكن للكاتب أن يكون مسئولاً عن الكون وعن طبيعة الزمن، ومع ذلك يظل مسئولاً عما يقول عنهما، وأظن أن هذا واضح وضوح الشمس.

يتولد فى هذا النوع من الكتابة، أو فى هذا التعرض لكتابة نوع من الإرغام هو ما أريد أن أعبر عنه أو أن أمسك به، فمع التصادم مع الكون أو مع الزمن أو مع الطبيعة البشرية يقع إرغام لا شك فيه بين الكاتب وما يعبر عنه. وتكون مسئوليته عن هذا التصادم مسئولية مرفوعة لايمكن تحملها أو الاعتراف بها صراحة ولكنها مع ذلك، بطبيعة الكتابة،

قائمة ومقررة يجب على القارئ أن يتصرف فيها وأن يتحملها بالقدر الذى يريد أو يمكن له.

وهذا الملحظ الأخير يثير الكثير حول الفن ومسئولياته وحول الكتابة وطبيعتها والتفكير ودوره. فالمسئولية هى فى الواقع فعل لا يكتمل ولكنه ينشأ ليعذب الروح وليملأها هذا القلق الحى الذى هو دم الفن وروحه الحقيقية. فليس فى الفن تنبؤ أو كشف بقدر ما فيه من معايشة لهذا القلق الحى ومحاولة نقله للقارئ ليثرى به حياته وليملأ به صفحات نفسه وروحه.

وقد يكون فى هذا مبحث نظرى حول طبيعة الفن، هو قائم فى كل تفكير أو كتابة عن الفن حتى وإن لم تكتمل ويتم الإفصاح عنه. ففى كل عمل فنى، بل فى كل جملة أو عبارة يستخدمها الفنان عن كتابته وعن روحه نظرية مخفية عن الفن وعن طبيعته. والمأمول أن يتحرك النقد لاستخلاص هذه النظريات أو على الأقل الشروع فى التعريف بها.

وأظن أن الحديث عن الإرغام وعن المسئولية هو جزء من أجزاء النظرية الفنية المخفية وأنه جزء كثير الثراء والمردود إذا توقف عنده القارئ أو حاول تعقبه فى هذه المقطوعات أو فى أى كتابة غيرها.

وسلام لكل من يرى ومن يتحمل المسئولية أو جانبًا منها فلقد أمضيت عمرًا فى رؤيتها ومتابعتها وأجدت فى تحمل مسئوليتها.

رجال أربعة فوق الجزيرة

جاءوا رجالاً أربعة فوق الجزيرة
وعند كل ركن أقام كل فرد منهم
بنى الأول معبداً فى كل ركن
وعندما تصاعدت الصلوات سقط محروقا كالقربان
ولكننى انصرفت مرغما بالفن أصنع امرأة
وخرجت لها كل وظائف المرأة إلا الولادة
وسألت نفسى ألا يجب علىّ أن أطلق الفن
وتساءلت السؤال الصعب: هل الفن بطبيعته عقيم
لا نتاج له ولا يتولد عنه إلا نفسه.
ولكن عندما اكتملت المرأة
سقطوا عليها الأربعة يريدون قتلى وامتلاكها
ولكنها انفلتت منهم جميعًا ومنى هاربة
ورفعها الرب إلى السماء تضىء هناك كما تضىء النجوم
وبقيت وحيداً لا صنعة لى
أرقب الثالث الذى جاء بالنار ليحرقنا
والرابع الذى اصطاد الطعام واللحم
وبقيت فى حاجة لا تنتهى لامرأتى التى رفعتها السماء.

وعندما انصرفوا عنى جاءنى فى الحلم نغم منهم
كان كموسيقى الريف أو كوارتيتات بيتهوفن
ومع النغم تولد من جديد أبوللو وديونيزيوس القديم
وكان قديمًا لأنه من الحلم صنع
وكل حلم بطبيعته قديم.

١٩ / ٨ / ١٩٩٧

معنى الحريم

فى كل عصر. قرب المغرب
تقدم على شرفتى ست عصافير من حريم الطيور
يتباذخن فى شرفتى
حركة ورشاقة وتناولاً للحب أو لأشياء أخرى. لا أدرى ما هى.
من الأرض أو أشجار شرفتى القليلة
كل واحدة منهن لها رشاقة خاصة، ولها حركات مثيرة لأى رجل.
وأنا وحدى الذكر، على الشرفة أفكر فى معنى الحريم.
فأنا أريدهن كلهن، ولا أترك واحدة دون رغبة فيها.
فمن أين جاء هذا الغرام
أهو منهن أم من جوعى أنا؟
فأنا مرة أخرى أريدهن جميعًا
وأحس أن معنى الحريم.
معنى عظيم للمرأة والرجل
فهن يتنافسن على الجمال، وليس على الرجل
ويكسب الرجل متعة الحسن قبل الجنس.

إنى أكاد أستطيع أن أسميهن

وأن أعرف كل واحدة بما لها من حركة فى الجناح أو القدم
وما تفعله بالرأس وكأنها صاحبة خبرة فى البدن وفى الغرام.
وإذا كان الوصال مستحيلاً. فإنه متحقق فى الحركة فيهن
والرغبة فى داخلى.
ومن الحركة والرغبة يتحقق الحريم
بلا توقف وبلا نزاع.
تتعثر العصفورة فى الحبة مثلما تتعثر مع القبل.
تتمنع وتغرى.
وكل حركاتها إثارة وغنج
فهل هذا مقصد العصفورة
أم هو قصدى الخبيث؟
لكن الحب يغسل كل خبث
ويقف فقط عند الجمال وحلاوة الحركة

قالت لى الأولى: أنت مسكين محروم
وعندى من الحنان ما يكفيك.
وقالت لى الثانية: أنا خصبة ممتلئة
بى من الغرام ما يكفى سربا من الرجال
وعندما اقتربت منى الثالثة. كادت تنقر وجهى وقطعة من يدى
بجناحها السريع.

ولما اقتربت الرابعة كانت غاضبة نافرة

تريد أن تتجاهلنى

ولكنها تعرض جمالها المخزون

تحت جناحيها وخلف عنقها وفى حركات قدميها

فكأنها تعطى وهى نافرة،

ولهذا طعم فريد فى النساء والعصافير.

ومرة واحدة يطرن جميعا بعيداً

إلا واحدة تظل تغازلنى

وأظل أحبها دون كل الحريم

ولأننى كنت وحيداً ومحروماً

وبى جوع شديد للغرام

نثرت حبوب الرز فى الشرفة

وقلت لهن هى حبوب الحب

فقد أسقطت عليها كل رغبتى

وإذا بكل العصافير تعود

لتلتقط الرز المدهون بالحب وزعفران الغرام.

كل كتابة

كل كتابة هى كلمات مرغمة.

فليس للكلمات إرادة حرة.

وكلها مرغمة أن تظهر فى ثوب مصنوع مفتعل.

فليس للكلمات ثوب خاص بها

وهى لاتصنع لنفسها أثوابًا.

وكل قسر كذب، وكل كذب نفاق، والكلمات مرغمة منافقة

فإذا أراد المرء أن يكون صادقًا فليصمت.

فكل كلام بالقطع كذب مرغم

وصعوبة الفهم هى فى فهم الإرغام. فكيف ننكره وكأننا أحرار

والكلمات تتخايل فى أثوابها المصنوعة الكاذبة

وهى ممزقة مهترئة.

إلى كل بكر

كل امرأة أو فتاة بكر
وبحكم أنها بكر فقد رقدت مع نفسها.
فليس أحب للبكر من نفسها
وليس أجمل لها من عناق بدنها.
والرجل عندما يأتى يكرر ما حدث
ولا يضيف شيئا إلا الحمل
الذى هو ما تخشاه البكر.
ولهذا يظل الرجل مرتبطًا دائمًا
بالخشية وبهذا الاختراق الموجع
الذى ليس هو السعادة التى تعرفها أو تريدها البكر.
فقسر فتحتها الصغيرة على تلقى الرجل
هو ظلم وجريمة الحياة
وطريق الموت
وتظل البكر، رغم كل اختراق
وتظل كل امرأة بكراً
ما دامت تعرف وتحب نفسها
وهى أجمل ما فى الوجود.

نظرات لغوية

«لقد تقدم بى الزمن...»

لحم اللغة مصنوع من الصورة والقيمة
ومن الاستعارة والتشبيه والوصف.
«بى» بى فيها قسر وإجبار
وكأنه الرجل العجوز المحمول على عنق السندباد
هو يمسك بقدمه فى العنق
ولكنه غير قادر على أن يهبط بقدميه.
«بى» تحمل كل هذا ولا يدرى أحد أين؟

أما «تقدم» فهى إشكال غير محلول
فيها نفى للعجز وللشيخوخة وكذب على الزمن.
وكأنه فعلاً يتقدم ولا ندرى بأى معنى
فمعنى التقدم هنا كأنه ممسوح مغلق
وكأنما هو ممنوع علىَّ أن يُفهم.

أما الزمن فهو وحده صورة غير مرئية
ولكنها بالرغم من ذلك صورة لا أصل لها ولا نموذج.

ما أغرب لحم اللغة...

فإذا وقعت فى الضمير

فقد دخلت المسرح إلى داخله

وأغلق عليك الستار

وتظل «لقد» لحمًا زائدًا كالسمنة

تحمل مع ذلك الفاجع والشكل والقدم الأعرج.

الإله المجهول

فى يوم من أيام رسوليته بروما
شعر بولس الرسول بقوة الوحدة
ووحشة الغربة
وراح يردد فى ذاكرته كلمات المسيح على الصليب
لم شبقتنى يا رب.
لم شبقتنى فى هذه المدينة المنكورة الإيمان
وراح يسير فى شوارع المدينة الجافية.

يطلب من ربه أن يسلمها له وأن يهديها إليه
وقال: إننى لا أطلب ملكًا بل قلوبًا مؤمنة
ولا أطلب أن تعنو لى الجباه
ولكن أن تتركنى أمسحها وأعمدها بكلمتك
وكان على وشك أن ييأس وأن يترك المدينة التى خلت من الرب
وسار بولس إلى أطرافها عند معابدها المكسرة
وراح يقلب فى ركام المعابد
وإذا به يجد على الأرض
تمثالاً ناقص الرأس والذراعين،

وقد كتب على صدره: «الإله المجهول»
وبينما هو يفكر فى هذا الإله وفى عبارته
رأى نوراً يشع من التمثال المكسور
وصوتًا يدعوه أن يحتضنه وأن يحمله
وعندما رفعه فى يده التصق التمثال بصدره وكأنه يحتضنه
وسمعه يهمس له: هذا المجهول هو أنا
جئت لك أمسح الوحشة والغربة عنك
وأقول لك: فى كل مكان لن أتركك
وهكذا أصبح الإله المجهول هو الرب القادم
وخرج بولس الرسول من روما
حاملا على صدره إلهًا.

بورنوجرافى كونى

أنا أذكر الدبة التى احتضنتنى
والقطة التى ضاجعتها ولم أعرف أن أدخلها
والحمارة التى أسقطتنى من عليها
وهناك مجرة حاولت أن تدثرنى
وغيمة أرادت أن تجعلنى عشيقًا.
ولم يحقق الغرام مثل المطر فى العصر وقطرات الندى
فى الفجر
ففيهما يصبح الكون كله غرامًا وعشقًا
وشيئًا لا ينتهى.
كان هولدرلن فى الشرفة
يمارس شعراً أكثر من كل جنون
فقد كان يمارس بورنوجرافى الكون.

هولدرلن ـ الشاعر الألمانى الكبير الذى ظل سنوات طويلة يطل من شرفته مجنونًا دون أن يقول الشعر.

أمى

كل مشاكلى لا يحلّها إلا العودة للرحم
فيه الاكتمال الذى أردت. فيه الدائرة التى هى اكتمال.
فهى المعنى الحقيقى لحرف الـ «ح»
فالـح هو فى الحقيقة الرحم. وإذا كانت الراء رؤية
فالميم هى بالفعل الأمل والرحم.

لماذا لا يبلغ المرء المعنى
إلا عندما لا يكون هناك معنى للبلوغ.
فالفقد والمعنى فى الـح
هو العودة وليس المستقبل.
لأن الولادة هى الموت الحقيقى.
ومغادرة الرحم أصل الشقاء
وأوله وآخره
لقد وهبت الحياة أم
ولهذا ما جنت على أحد
فالأم لا تصنع الخطيئة ولكنها تصنع الكلمة
وكانت الكلمة فى الرحم
وفى البدء كانت الكلمة وليست الخطيئة.
أما الخلاص فهو الرحم والأم.

الحكمة

عندما تبلغ الحكمة مداها
تصبح كالكريستال والسكر المركز
لا تُؤكل ولا تُشرب بل تجرح
العين واللسان
وتفرض الصمت والنظرة الساكنة.

لحظات الماضى

عندما تعود لحظات الماضى
يسعد القلب لتلقيها
فى نفى صريح لأنها ماض
لأن النفى دائمًا هو المستقبل:
لعنة الله وغضبه مثل الموت.
فلا حل غير هذا الاكتمال
الذى هو سمة الماضى.
يا رب ارحم عبادك من لعنة المستقبل
واغفر لهم فقد أنعمت عليهم
بأن الماضى مضى
وأنهم لا يملكون من المستقبل
إلا الموت.

مجنون ليلى

كل عشق جريمة ترتكبها الروح
بلا مبرر أو هدف.
وفى كل لحظة يمتلك قيس ليلى
بلا نقص أو تحرج
وليس للمجنون عشق عذرى
بل هو امتلاك كامل وفضٌ لكل عذرية.
مجنون ليلى فى كل لحظة
يعيش قمة الجنس وقمة الموت
وهو فى كل حين لا يتنازل
عن لحظة أو قطعة أو ملمح من ليلى
فهى كلها له فى كل حين.

إجرام الروح

لاشك أن للروح امتداداً واقعيًا
في الزمان والمكان.
فهي تتجاوز حدودهما وعطاياهما
لتمتد واقعية كائنة
وراء هذه الحدود والعطايا
ورغما عنها.

ومن هنا أصل ومصدر السحر والعرافة
والتأثير والتخاطر
وكل ما يؤدي بالإنسان إلى الكفر والهلاك.
لا أحد يحتمل قدرات الروح
ولكنها مع ذلك تواصل إجرامها الخاص
لتنكر الزمان والمكان
فلا يرحمها الله ويلعنها الإنسان.

عندما يعود الشعر

عندما يعود الشعر
فإنه لا يعود لجن أو شيطان
كما يقول القدامى
ولكنه يعود كموسيقى الأفلاك
التى سمعها فيثاغورث
أو الصور الخالدة التى رآها أفلاطون
أو الذات المفكرة لديكارت
أو القول الثقيل للرسول المرسل.
عندما يعود الشعر لا تطوله الحداثة
بل يسخر منها
وإن كانت بنيوية أو تقويضية أو تفكيكية..
أو أى محاولة فاشلة أخرى لترجمة
ما حدث للروح فى الغربة،
غربة الشعر.

عندما يعود الشعر، يعود
وحده حيًا نابضًا قائمًا

وحده منعزلاً. عازلاً
يُحيي الوجود ويقيمه
ويعطيه فى نفسه القيمة
وإن حاولوا جميعًا سحبها منه

ولكن الشعر يعود فرحا كنجوم السماء
مضيئا كزهور الحقل
جاريا كموج النهر
عذبا كالنبع الطيب
ويعود الشعر فإذا الدنيا كلها
فرح وصلاة ووصال

كل شيء مع الشعر موصول
لا توقُّف فيه ولا خلل
لأنه مثل الوجود
محض وجود.

٢٤ / ٢ / ٩٦

كل كلمة

كل كلمة عباءة أو قطعة أرض
نخفى تحتها أو نبنى عليها
كيانات وبيوتًا لا نستطيع
معاشرتها أو سكناها
فعندما نفعل تموت الكلمة

وتتعرى الأرض ويضربها الجدب
فالتاريخ والمجتمع يأكلان الكلمة
ومعها كل وسائل الخلق
وكأن العدم نواة الكلمة
والمحارب القديم لكل كينونة.

طير بلا زغب

يضحك المرء على نفسه عندما يقول
إنه حى
فقد خرج كالطير بلا زغب
وسقط فى المصيدة
ولن يُرزق الخلاص
حتى يموت أولا
عند قوله أنا حى
ليستيقظ لأنا موجود

عندما خلق الرب المستقبل

عندما خلق الرب المستقبل
قضى على الإنسان تمامًا بالطرد من الجنة
فليست المعرفة بالخير والشر
هى ما كان يخشاه الإله
فهذا ما يريده
وليس التطلع إلى الألوهية
هو سبب الحرمان من الجنة
فهذا أمر مستحيل على الإنسان
ولكن مع هذا فمع الحرمان من المستقبل
يتطلع الإنسان للألوهية
ولذلك فحرمانه من المستقبل
هو الطرد الحقيقى من الجنة
وهو أيضًا بداية الخلق
فالخلق ليس فى كن بل فيما سيكون
وعبودية الإنسان الحقيقية
هى عبودية للمستقبل

سم الإبرة

قلب الإنسان وعقله واسعان
باتساع الكون كله
ومع ذلك فالكون يضيق عليه
وكأنه سم الإبرة
لا ينفذ فيه إلا كخيط, متكرر
من رغبات الجسد
أو طلاء أحمق من دعاوى الروح
وأوهامها
وعدد لا ينتهى من الصور
المكسورة الناقصة
فبماذا ينفع اتساع العقل والقلب
لقد ضاق الكون حتى لا ينفذ فيه
وكأنه سم الإبرة.

التنقيب فى الآفاق

ولقد نقبت فى الآفاق
حتى رضيت من الغنيمة بالإياب
وإذا كان التنقيب هبة التجوال
فهو فى صدرى البحث ومحاولة المعرفة
والغنيمة التى رضيت بها

لم تكن مطلوبة ولا معروفة
ولكنها آخر الطريق المفضى
إلى الإياب
فهى ليست مطلبًا ولكنها نتيجة
وليست تحصيلاً ولكنها تصحيح
للرحلة وضرورة للعودة
على البدء

ترجمة إدوار الخراط لبول إيلوار

قصيدة منشورة فى الشرق الأوسط

لايمكن أن تحفظ الطفل
فى رحم أمه
ناعمًا بنعيم مائه
وأن تلاعبه أيضا
على سجادتك فى غرفتك
بين الجانبين مسافة لا يمكن
للترجمة أن تعبرها
وحداثة عملك
كانت تمنع ذلك
وأظنها ستمنعه دائمًا
أليس كذلك؟!
فهل من الممكن أن تعبر المسافة
بين سوريالية إيلوار
وعربية اللغة والتراث والفهم؟

الأيام الأولى تعود

الأيام الأولى تعود
لم تبد أو تتبدد
لم تستوعب ذاتها فى ذاتها
وفجوة الزمن مجرى نهر
تعبره أو تسبح فيه
بلا تذكر، بل فعل حى
حاضر محسوس فى البدن
ويصبح الزمن هو ما يجرى
أو جرى
بلا تعاقب أو مسافة
ولا قديم أو جديد
ويملك القلب الزمن
حتى يرجع الوجود
فليفرح القلب بالأيام الأولى
ولينزل المجرى فى كل حين

أحبك

أحبك حبًا متعاقبًا تعاقب الأنفاس
لاهثًا متلاحقًا مع وطأة الوطء
ورهبة الدخول
حتى تفوح وردتي وتضيء
بندى الحب ومياه الغرام
فإن قدمت على روحك
دخلت أنت في بدني كله
واختلطت الأنثى بالذكر
فلا يعودان يفترقان.

تحية لكل موت

سوف أذهب راضيًا رقيقًا
فى هذا الليل الوديع
فما أسعد الروح ببلوغ
هذا الشاطئ الأبدى المريح
حيث تعود الروح إلى كل الكل
وتنتهى تلك الفردية الموجعة للحياة
كل فرد صورة من النقص والتشويه
لا تنتهى
وفى الموت اكتمال فى نقص
فيه راحة وروح وخلاص من العيب والخلل
الذى فى كل روح
آمين وتحية لكل موت .

صلب المشكلة

صلب المشكلة بين الله والإنسان

هى التفرد داخل الوحدة

كل منهما غيور على التفرد

حريص على الوحدة

سيدة مجهولة

«إلى م. و.»

لقد حققت الكثير فى حياتها
وفشلت فى كل ما حققت
درست القانون الدولى
والمنظمات الدولية
وعادت دون حصيلة
لتجد كل الأهل والأصدقاء
قد خانوها ولم يسألوا عنها
حملت حقيبة غريبة فى يدها
وسارت فى شوارع القاهرة
تحمل وثائقها وإرثها ومستندات
أموالها
وسارت فى الشوارع وحيدة
لا تستطيع أن تعطى أحداً شيئًا
لأن أحداً لا يريد أن يعطيها شيئًا
وعندما علمت أنها ماتت
أحسست أنها بدأت تحقق ما كانت تريد
تأثيرها فى الناس وتذَكُّر أصدقائها لها
ولكنها ماتت بلا حقيبة ولا إرث.

قيام الفرد وهو يستعد للموت

تجتمع فى بدنى هذه الأيام
كل مظاهر الشيخوخة
وأنا أقول مظاهر وليست ظواهر
ضعف العين والأذن
ووهن الركبة والقدم،
وهذه الرعشة فى الذراع والأصابع
ومع هذا كله يزدحم فى روحى
ثراء وتدفق كتجمع السيل
الذى يهدد السد ويوشك أن يكسره
هل السد هنا هو الحياة
وكسره يعنى التدفق للموت..
أم هو بمعنى آخر مثل تمسك
الطفل الصغير بذيل أمه
التى يحتاجها ويفزع من غيابها؟
ما أغرب الحياة والموت..!
وما أقصى الوقوف على حدودهما

هل هما واقع فى كل حياة
وفى كل موت.

أم هما المعنى الغامض الذى لا يفهم
فى قيام الفرد وهو يستعد للموت؟
ومن هو الذى يملك الإجابة
وأين تقع الحقيقة
وهل للحقيقة قيمة إذا كانت فقط
عند الرب
ولم تكن الحكمة التى يبلغها الإنسان الفرد؟

آخر صفحة

عندما تتضاغط الكلمات مندفعة
مرغمة
نحو الظهور
ترفض كل قاعدة أو شكل وتقليد
وتأبى الدخول فى أى شكل هندسى
له أضلاع أو زوايا.
كل مثلث أو مربع أو معين أو مسدس أو..
كلها لا تجد لنفسها مكانًا أرضيًا فيها
فهى من عالم أخذ كل ما فيها من صدق
إنها تظل متأبية معترفة بالإرغام
وبعد ذلك تتسابق للظهور
كى تخلص بسرعة من معاناة الوجود
وكأنها تسعى للموت أو الولادة.

معجزة كل يوم

المحتويات

معجزة كل يوم

أسماء، رغم الإشارة لا تُشير إلى شيء
ولكنها تخفى رأيًا وموقفًا من الفضاءات الثلاثة
ومن خُلوِّها من الوجود
وهى أيضًا تفتح الطريق إلى معجزة كل يوم
نهارٌ جديدٌ ويومٌ جديدٌ
ولا يملك أحدٌ أن يوقفه
حتى وإن غرقتْ المعجزة فى الفضاءات الثلاثة.

أيها المتعالى الذى لا يُسأل عما يفعَل
عندى لك سؤال
وفى رأسى ألف آخر،
كيف تُصاغ ولماذا معجزةُ كل يوم
معجزةُ الخلق المتكرر كل يوم؟
وكيف تصنع الزمان وتُدخله فى المكان
وتنفى العالم والدنيا والحياة
ماذا يفعل البشر أو العالم
فى هذه المعجزة الأولى المتكررة
التى لا يُفضُّ لها سر

ولا ينتهى لها سحر؟

هل هى تسيير الكواكب
أم هى صناعة الزمان
أم هو سر آخر متعالٍ لا يُفضّ من أسرار تعاليك؟
أيها المتعالى، عندى لك سؤال
وفى رأسى ألفٌ آخر،
كيف تتم معجزة اليوم الجديد
فى فضاءات العالم والدنيا والحياة؟

فضاءات العالم والدنيا والحياة
خاليةٌ إلا من معجزتك
فماذا تفعل ولمن توجهها
وهل تريد منا أن لا نسأل؟
نعم ..
فالسؤال لا يُجدى
والخلق الجديد متكرر دون سؤال
والسؤال يتكرر دون إجابة
ويظلُّ اليوم الجديد معجزةً لا تُفضّ.

١٨ / ١٠ / ٢٠٠٣

يانجمتى

لا تغيبى..
لا تغيبى يا نجمتى الجميلة
فما أقسى غيابك علىّ
قد لاتظهرين لكنك دائمًا موجودة
فوجودك أقوى من ظهورك
ونورك يشع وراء كل ظلمةٍ وعلى كل بُعْد
وأنا تعلمتُ الانتظار
وتعلمتُ إيجاد ما أفتقد
وأن أحبه ملء الفؤاد والعين.
فى هذه الليلة، لم تستطع عينى رؤيتك
فى مكانك وزمانك
هل اختفيت وراء السحب الداكنة
أو بعض الطيور؟
وبدأت أنتظر
وأنا أعرف الانتظار وأتقنه
وأعرف أنه قد يعوقك عن الظهور
ولكنه لا يعوقك عن الوجود

وعندما بدأت أنتظر

كنت أعرف كيف أعيد إيجاد ما أفتقد

وأجعله ملء العين والفؤاد.

وعندما انتهى الانتظار

كان اللقاء عارمًا متدفقًا

كأنه لقاءٌ بين بحرين

٣٠/ ٧/ ٢٠٠٣

وداع الروح

هيا انطلقى أيتها الروح السجينة
وتحررى من هذا البدن المسكين المريض
اتركيه للتراب كى يتشتّت
وانطلقى أنت فى الفضاء الذى تصبحين مثله.
لقد كنت خيّرةً جيّدةً عطوفة
وكانت جرائمك لها عقاب مباشر
فليس عليك ذنوب مؤجلة
فهل أشكرك أم تشكرينى.
أنا لم أضنّ عليك بشئ.
ولم أحرمك شيئًا
وأنت قد أعطيت فلم تبخلى بشىء
وحققت الكثير لك وللآخرين
فاتركى هذا البدن مطمئنةً
وارتفعى للفضاء
انطلقى ولا تعودى مرةً أخرى إلى الأرض
بل ظلّى فى الفضاء مع ما حصّلتِ من معنى.

هل تسمعيننى، أم أنك قد أعددت نفسكِ للرحيل

ليس عليك ذنوب مؤجلة أو جرائم لم يلحقها العقاب

فانطلقى فى هذا الفضاء النقى الذى أنت منه

واتركى البدن للتراب كى يتشتت.

١٤ / ٦ / ٢٠٠٣

موت

أقبلت على الموت

بشهية الجائع للطعام

فوجدته مائعًا بلا ملح ولا مذاق

ورأيته يدبُّ مثلي

كأنما قد فقد القدرة على السير والإبصار!

١٥/ ١٠/ ٢٠٠٣

شمعة التفكير

اهدأ.. اهدأ
وحاول أن تُطفئ شمعة التفكير
المضاءة باستمرارٍ فى رأسك
إنها تزيد القلق وتؤكد الوحدة
وتجعل غيبة الأهل والأصدقاء والكِتاب
دعوةً غير مستجابةٍ للموت.
فاهدأ.. اهدأ، وأطفئ شمعة التفكير
المضاءة باستمرارٍ فى رأسك.

ما جدوى التفكير
إذا كان يتحول إلى حلمٍ أو تذكّر!
هيا نُجدّد النغمة ونُغيّر الموسيقى
هل يمكن أن نسمع فاجنر
ونجعل باخ جزءاً من البعيد الراحل
شوبرت وشومان
أكثر حنانًا ووداعة
فهل يأتى التغيّر بتغيير النغمة

أم بصناعة نغمةٍ جديدة

وهذا أصبح مستحيلاً

فهل هناك إلهٌ جديد يستطيع أن يهب

الروح النغمة الجديدة؟

١٢ / ٦ / ٢٠٠٣

الوجود والعدم

لقد فسدَ البدنُ وكَلَّ العقل وانطفأت الروح

فماذا يبقى

لقد زال كل شىء

الماضى زال لأنه ماضٍ

وغابت مادة المستقبل، فلم يعد ممكناً.

الزوال غير الغياب

والدنيا بلقعٌ من ماء أجاج لا يصلح للشرب.

مرةً أخرى

الزوال غير الغياب

لأنه طريق العدم الذى هو الباقى

والماضى عدم وزوال

والزوال هو الطريق الملكى للعدم

كما كان الحب هو الطريق الملكى للوجود.

١٣ / ٤ / ٢٠٠٣

حروف الكلمات

حروف الكلمات فى اللغة
حفريات لها تاريخ
وصوتها يشير إلى اتجاه
ويوجه العقل إلى معانٍ عديدة
وحروف الكلمات مثل صبوة الروح
إلى الابنة الحبيبة،
والرفيقة التى لا مثيل لها بين النساء
وأنا صاحب صبوة للحرف وللابنة.

كل سر مخفىٌّ فى الحرف
فهل نعرف السر
أو نكشف التاريخ؟

١٤/ ٥/ ٢٠٠٣

الروح والموسيقى

الروح والموسيقى شيء واحد
كلاهما من صنع الرب والفنان
ومن مادة فريدة لا يُصنع منها شيء آخر.
والموسيقى والروح يتأيان عن الكلمة
ويتركانها لحاجات البدن ورغبات الآخرين
وتفيض الموسيقى على الروح
فكراً كضوء القمر
يُضيء ولا يفلح
أو كنارِ موسى أو إبراهيم، تُدفئ ولا تحرق.

تدخل الموسيقى إلى الروح فتحتويها
وتُضيء نعمةً فيها
وعندما تتحرك الروح إلى الموسيقى
تكون هي والموسيقى واحداً بلا تفرقة.
ـا خالق الأكوان وباعثَ الموسيقى فى قلب الإنسان

لماذا غضبت عليه وطردته من الجنة
وأعطيته ما هو أعلى منها ومن أى وجود آخر
إن الموسيقى ضوء الروح
وهما معًا من خلقك ومن فضلك
مثل الشكر لك على أى حال
وعليك أن ترحم الإنسان
الطامع فى جنة أخرى.

١٦ / ٥ / ٢٠٠٣

البدن الحبيب

ماذا يحدث لهذا البدن الحبيب
بعد أن نتركه وحيداً فى القبر؟
عندما وصل المصريون والإنكا لهذا السؤال
ابتدعوا التحنيط
وبدأت مرحلةٌ رائعةٌ من العلم والمعرفة
وصناعة المعتقد
قامت قصة الخلق
وحكاية آدم وحواء
وظل مع ذلك السؤال قائمًا
لإعادة صياغة الزمان والمكان
بعد أن كان خُلواً من المعنى والدلالة.

سيظل السؤال قائمًا مع الزمان والمكان
ويظل البدن الحبيب راقداً وحيداً فى القبر.

١٨ / ٥ / ٢٠٠٣

الحبُّ والعبادة

أحببتُ كثيراً حبًا شديداً

إلى درجة العبادة

وأنا لا أفرق بين الحب والعبادة،

فالحب هو العبادة

والمرأة التى تُحَبُّ، تُعبد

لكن المرأة تتغير لأشياء كثيرة

بفعل الزمن وبفعل تحولاتها

فتعجز عن مواصلة المحبة

الحب نفيٌ للوحدة

ليس سوى الحب والإيمان يستطيعان

التغلب على الوحدة المقدرة على الإنسان.

٢ / ٦ / ٢٠٠٣

ثنائية الخالق والمخلوق

كلٌّ خالق له بالضرورة مخلوق
وتسرى هذه الثنائية من الخالق إلى المخلوق
وعلى حين يوجد الخالق فى بُلهنية الثنائية
يعيش المخلوق جراها فى عذاب مقيم.

ومن هنا يلزم معنى الثنائية للخالق وللمخلوق
فالخالق لايتنازل عن وحدانيته
فوحدانية الخالق أمر يقرره هو
ويفرضه على كل مخلوق
أما ثنائية المخلوق فهى أمر مفروضٌ عليه
مصابٌ به، لايستطيع أن يخلص منه

وإذا سما الخالق على وحدانيته
عمت السعادة والسكينة عالم الخلق
وازدهر التفكير وأصبح نعمة للإنسان

إذا سما الخالق على الوحدانية

ارتفعت الثنائية من عالم الخلق

وحلّ مكانها التعاطف والحب الأصيل بلا مقابل

فارتفع يا ربُّ عن الوحدانية

وارحم بذلك كل الخلق

٢٥ / ٧ / ٢٠٠٣

عباءة الكلمات

عندما تخرج الكلمات من الرأس
أو القلب، أو من أى موضعٍ آخر فى البدن
تخرج مرتديةً عباءة الزمن
وهى لا تخلع هذه العباءة
حتى لو طُبعت ونُشرت
وضاعت الأوراق التى كُتبت عليها،
بل، حتى لو تداولتها أقلامٌ أخرى.

فى سياق قديم، كتبتُ:
"خرج يخرج فهو خارجٌ وهى خارجةٌ عن طاعة زوجها
خرج موسى باليهود من مصر
وخرج لعازر من القبر على يد المسيح
وخرجتُ أنا وحدى أتنزّه فى الحقول"
أين هى الآن هذه الحقول؟
لا يبقى إلا عباءةُ الزمن التى تلتفُّ بها الكلمات
فعباءة الزمن أعلى من المعنى والقصد والسياق

يا كلماتى،

يا كلماتى الملتفة فى عباءات الزمن القديم

ما زالت معانيك القديمة لا تفنى،

تتردد، نضرةً فى فؤادى وصدرى

أسمعك بلا عباءة ما زلت

ما زلت تترددين فى صدرى

رغم كل هذا الزمن،

ورغم ثقل العباءة التى ترتدين.

١٧ / ٨ / ٢٠٠٣

خطر

اضحك.. اضحك
فالبشر جميعًا فى خطر
حياتهم كلها مشقةٌ ونقصٌ وملل
وإذا كان التفكير لايجدى
فقد يجدى الضحك.

لا أهلَ قربى ولا كتَاب
فليسعد الضحك ما لم يُجْدِ التفكير
ـ مع الاعتذار لأبى الطيب ـ
فهل نبحث عن أمل أو خلاص؟
وإن كان ما زال هناك القلم
والكلمة ذات العباءات!

٢ / ٩ / ٢٠٠٣

أين ذهبت ولماذا

خلتْ عدة أيام،
خلتْ منها سمائى الواسعة
خلتْ من نجمتى الحبيبة
ولست أدرى أين ذهبتْ ولماذا؟
هل تركتْنى كما تركنى الأهل والأصدقاء والكتاب،
أم هى حسابات السماء ورياضيات الكواكب.
أم هى عينى الكليلة
ولكنى أرى الطائرات المتعاقبة
تمر فوق رأسى
وأرى سحابات ثقيلةً وخفيفة
تتجه نحو موقعها ثم تكتسى بالسواد
وكأنما لتخفيها.
وعندما يتراكب المجهول
يزداد الشوق ولوعة القلب
إلى المحبوب الغائب
ويظل السؤال المُلِحُّ:
أين ذهبتْ ولماذا؟

٢٠ / ٧ / ٢٠٠٣

لايزال

لايزال الحب لايُزال
لا يخفى ولا يُنسى
ولكن يُجحد كما تُجحد الآلهة الكبار
عندما تفرغ رسالتها
وتصبح مجرد حنين فى قلب مؤمن.

اسمع اسمع هذا الأنين
هذا وتين القلب كما قال العقاد
فالحب لا يُنسى ولا يُنكر بل يُجحد
كما تُجحد الآلهة الكبار.
هل يفهم القلب أن عليه أن ينسى
وأن يُنكر الحب
وأنه لا يستطيع ذلك؟

ماذا تريد من الحب إلا أن يوجد
وماذا تريد من الوجود
إلا أن ينتهى عندما ينتهى الحب.

فليس هناك إلا الجحود

والجحود نفيٌ لإنسانية الإنسان

ولكنه تحريرٌ للعقل والقلب،

بل وللذاكرة

ليس كلُّ جحود إلا تقريراً للألوهية

وإثباتًا لها.

٢١/ ٧/ ٢٠٠٣

المطعم الإلهى

أكثر أنواع الذاكرة تعقيداً وثراءً
هى ذاكرة الطعوم.
فهى أعقد من ذاكرة الروائح والَشمّ
ولا يضاهيها إلا ذاكرة اللمس.
وأعقد أنواع الطعوم، طعم المرأة فى بقاعها المختلفة
فهناك، تجتمع كل الطعوم وأنواع الذاكرة
ويصنع الرجل من ذلك حفلاً إنسانيًا
لا ينتهى إلا فى آخر الغرام.

ما أغرب الإنسان وما أكثر أنواع ذاكرته
هل يمكن للمرء أن يصفَ كلّ طعوم المرأة
وهى أغنى وأعقد من كل مطعم؟
إن الوصف هنا فعلٌ خاطئ
بل هى ممارسة يدخل فيها كل حواس البدن
وتعمل بها كل الحواس،
وليس الطعم فقط.
إن الطعم والرائحة والملمس كلها حاضرة

حتى وإن غابت العين فهى حاضرة،

للثدى طعم وللشفة طعم وللخد طعم وملمس

أما تلك البقعة الأخيرة

ففيها كل الطعوم.

فالمرأة هى المطعم الإلهى

الذى لا يشابهه أى مطعم

٢٠ / ٧ / ٢٠٠٣

المرأة لا تشيخ

حقا إنها لا تشيخ

لا، لا، لا، إن المرأة لا تشيخ

فقد صنع الرب الرجل على صورته

ثم صنع المرأة رحمةً وسكينةً لما صنع

وهكذا داخلها روحُ الرب فارتفعت عن الشيخوخة

ومن يشكُّ فى ذلك

فلينظر كيف تصنع المرأة بأولادها

إنها ترعاهم مهما كبروا ومهما استغنوا عنها

بل، وإن أساءوا إليها وعقّوا محبتها

إنها لاتفرغ من رعايتهم حتى تنتهى بها الحياة

وتترك لهم ذكرى هذا الحب وهذه الرعاية

ويعيش الأبناء يذكرونها دائمًا ولا ينسون

ولذلك فهى لاتشيخ، لا تشيخ أبداً

وتظل دائمًا راحةً وسكينةً للابن وللحبيب.

وإذا أحبت المرأة فإنها لاتكبر على الحب أبداً

وإن لم تحب، فقد تصبح فى البدن أو الروح رجلاً

وعندئذ يفقد الرجل كل أمل فى السعادة
فلا يعرف حتى أن يشكر الرب ويحمده،
على ما صنع له أو أعطاه.
فالمرأة تعطى الرجل حتى الشكر والحمد للإله
فهى حقًا الصورة القريبة منه
والروح الذى يتنزل عنه.

إنها لإلهة، حتى وإن تعرّض بدنُها للمرض أو البتر
فهى تظل دائمًا قادرةً
على أن تمنح الراحة والسكينة لمن تحب
فامنحنا يا رب القدرة دائماً
على أن نحب المرأة كما تستحق
وراء كل شيخوخة
فينا أو فيها.

الكمال المطلق

أنا لا أفهم ولا أظنني أستطيع أن أفهم،
لماذا لم يرفع البشر أولئك الذين يصنعون الموسيقى
إلى مرتبة القداسة والألوهية!
إنهم يمارسون الكمال المطلق والمعرفة الكاملة
ولهم قدرة على إحالة المعنى إلى وجود
أعلى من كل وجود.

العبور بالتعبير إلى الوجود
هو الصفة الأساسية للمتعالى
ولكن البشر يصفون الآلهة ولا يدركون حقًا
طبيعتهم وسر وجودهم.
فالمتعالى يوجد،
لأنه يعْبر بالتعبير إلى الوجود
وكل منا يحاول عاجزًا أن يفعل ذلك.
وعدد من يدركون ذلك لا يكاد يُعدّ
لأنهم بعد أن يحققوا المعجزة
يختفون فى ألوهيتهم ويكررون القدرة،
والتعبير العابر إلى الوجود.

أيها المتعالى

اغفر لنا ما نفعله بالموسيقى من إهمال

فنحن نستحق كل إهمال.

العبور بالتعبير إلى الوجود

هو قدرة الخالق وأمل الفنان

الذى لا يتحقق إلا نادراً جداً

فعندما يعجز الفنان يسقط فى العدم

ويبتلعه ذلك العدم إلى ما لا نهاية له من العدم

وعندما تصنع الموسيقى الوجود

فإنه يكون وجوداً فوق كل وجود.

إن الزهرة التى ترفعها الموسيقى إلى أذن المستمع

ليس لها شبهٌ فى كل حدائق العالم

فهى خالدة الحركة لا تذبل ولا تسقط

ولا تفقد رائحتها

وكذلك ما يصنعه الفن بالحب

فهو يعلو على كل حب

ولا يضيع أو يُنكر أو يُنسى

عودة حرف الـ «ح»

المحتويات

مقدمة قصيرة واعتذار صادق

أنا أغبط نفسى على عودة حرف الـ «ح»، وليسمح لى القارئ بهذا السرور الشخصى الذى كان أفضل ما مُنحته وسط مشاعر ومظاهر العجز البدنى الذى يصاحب شيخوختى، ويجعلنى أحس أن عجزى البصرى والحركى هو جزء من هذا الانهيار الحضارى الذى يعيشه عالمنا على كل المستويات، الوطنية والعربية والعالمية.

لقد مثّل لى حرف الـ «ح» وما زال ثورة وتطلعًا إلى الحرية الحقة والصدق الروحى الذى لا نكاد نراه أو نعرفه فى أيامنا هذه.

نعم لقد عاد إلىّ حرف الـ «ح» فى بعض القطع الصغيرة، وعندما ظهر بها، أحسست أن أمامى أملاً وحياة، كما أن هناك النور والرفض للكذب والاصطناع والادعاء.

هل يسامحنى القارئ عندما أفرح مع الفن لعودة حرفى السحرى.

بدر الديب

الماضي

كل ماضٍ ناقص معيب
كل ماضٍ خطأ وخطيئة، ولولا ذلك ما مضى
لو لم يكن خطأ لما مضى.

الزمن وهمٌ، نحن الذين نصنعه
والموت ليس له تبديات،
الموت له وقوع.

جريمة الروح

أبشع جرائم الروح وأقساها
هى قسوتها على من أحبها ويحبها
وليس هذا إنكاراً لقيمة الحب وقدسيته
ولكنه جحود كجحود الرب
لا ينفع فيه صوم أو صلاة.
وقد يكون عقابه كعقاب تريسياس
الذى استهان بالحب واعتدى على الغرام
فتحول إلى رجل له أثداء بلا لبن،
إلى رجل لا رجولة له.

ياسيد الأكوان

لا كتاب ولا شراب ولا نساء أو أصحاب
فانزع عن عنقك نير الكينونة
واجمع شتات الروح لتمضى وحيداً
فى هذا الفضاء الواسع المقيم
فى فضاء ما قبل كن
فما قبل كن، تكون الراحة والحياة
التى لا آخر ولا أول لها.
فما قبل كن، تكون الراحة والسعادة
وما قبل كن، تكون أنت بلا أنا ولا آخر

ولا جهد متصل للمعرفة أو التطلع.

فكن هى اللغة الأولى

التى بعدها بدأ الشوق والخوف والمعاناة

فادفع يا رب لعنة "كُن" عن البشر وعن الوجود

كى يتحقق للروح كل السعادة

ولا سعادة الآن إلا النيرفانا البوذية.

يا سيد الأكوان مهما كان اسمك أو صفاتك

امدد يدك بالبركة وامنح ابتسامتك لنا.

المصادفة

من الخطأ الشائع الخطير، القول بأن المصادفة عمياء.
والمصادفة فى الحقيقة مبصرة تمام الإبصار
وإلا لما حدث ما حدث أو أنفق
إننا لا نعرف شيئًا عن أنفسنا
لا نعرف متى جاء أبونا إلى أمنا
وأصاب هذا الفرج بالإنجاب،
ولا نعرف لماذا تلك البويضة وليست غيرها
هى التى تلقّحت وحملت هذه الروح.

هذا الأنا، الذى حدث ويبدو مصادفة،

قد اشتركت فيه إرادات كثيرة
وتحركت به مقاصد وأهداف،
وعندما خرج ما خرج، لم يكن إذن مصادفة
ولكن كان تبصراً، ومشكلته
أنه خفى المعنى صعب التفسير والتأويل والتبرير.

فلِمَ نُريد كل هذه الأفعال
وهى ليست من أفعالنا الممكنة
بالعقل أو بالروح؟
إنها تُدرك فقط بالنتائج والتاريخ.

كريسملس ٢٠٠٣

نعم نعم لقد غاب

لقد عذبوه بالشوك والخل

وضربوه بالحراب

وأخيراً وضعوه في القبر وأغلقوا عليه

وما زلنا في يقين القيامة

نكرر: لقد قام لقد قام

الانتظار هو كل اليقين عامًا وراء عام

لقد قال الرب «لاتجرب الرب إلهك»

ونحن نُجربه كل عام

ولكنه علمنا أن لا نشرب ماء الخفية

وألا نأكل الخبز المسروق

فلماذا إذن نجرب الرب!

لقد غاب لقد غاب لقد غاب.

الشكوى

يا سيدة الأكوان وربة العشق القديم
وآخر قطرات السعادة
ماذا أفعل وقد امتلك الرب حتى الشكوى
فأصبحت الشكوى لغير الله مَذّلة
هل يستعذب المرء المَذّلة
أم يستدعيها؟

لقد أخفق القلب فى الحب لكنه ما زال يخفق
ليدفع باليأس وسيّال العدم فى شرايين البدن.
ماذا بقى فى الدنيا إلا أنها كرة كالتى يتقاذفها الصغار!

زرقاء اليمامة

إنك لا ترى أبداً كل شيء، ولو كنت زرقاء اليمامة
فلا تحزن، لا تحزن إذا ضعفت عيناك
فسوف ترى من جديد دائماً ما لم تره من قبل.

تلك الورقة الكبيرة لشجرة الموز تتقطع أطرافها،
وتظل القطع بينها فراغات الحركة
فالهواء يحركها فترقص كراقصة بارعة
وتقسم الفضاء كما يقسم العود النغم.
وعلى سور الكهرباء يمامتان.
إحداهما ذكر ولا بد الأخرى ـ بلا رؤية ـ أنثى

الذكر أسمن ويقترب وهى تتراجع
وكلما ازداد اقترابه هددت بالطيران
وارتفعت قليلا وابتعدت ثم جاءت له من الناحية الأخرى.
ماذا يريد الذكر، وماذا لا تريد الأنثى؟
وعيناك الكليلتان تريان رقصة أخرى
فى هدوء الغرام لليمام
ولا بد لعينيك أن تنعما بما ترى
فلا تحزن، لا تحزن، إذا ضعفت عيناك.

المستحيل

هيا نضحك على المستحيل،

فلنسأله سؤالا واحداً:

هل هناك مستحيل واحد أم أكثر من مستحيل؟

كل الفلاسفة والمفكرين يقولون بمستحيل واحد،

لأن هذا ما يحاولون حله

وهنا يكمن الخطأ فى كل فكر.

فالمستحيل بسيط ساذج، لا يتعلق بالوجود أو بالمعرفة

ولكن، يتعلق بحياة الفرد الواحد الذى يعيش وحده فى مستحيلين

نعم، وحده يعيش فى مستحيلين:

استعادة الماضى ومعرفة المستقبل

ومن لايقبل هذا الازدواج يصنع الدمى الكثيرة

التى يلعب بها الفلاسفة والمفكرون، وحتى الأديان

التاريخ، والذاكرة، والمطلق وتطلّب المعنى والسعادة.

كلها دمى، يلعب بها الفكر ليغطى المستحيلين:

استعادة الماضى ومعرفة المستقبل.

جهل

«فى جهلنا، نحن جميعًا سواء»

«كارل بوبر»

أحب هذه الكلمات لأنها حق، ولأنها كلمة سواء،

فنحن حتمًا فى الجهل سواء.

وإذا كان بعضنا يريد الكذب ويرفض الجهل

فإنه يقيم بدل الجهل زيف الادعاء وفداحة الكذب

فماذا نصنع بالوعى الإنسانى، بالحق والرياء؟

وماذا نصنع بما يصنعه الإنسان من شرانق الكذب حول نفسه؟

فهل لدينا علم وهو يوشك أن يضرب الحائط السد؟

وهل لدينا أخلاق؟

إلى صفية ويتس

هأنا أكتب إليك مشتاقًا محبًا كأننى فى الأربعينيات
لقد ضعف البدن وشاخ ولكن الروح ما زالت.
هل تعودين من البلد؟ وهل هو بلد الذى أنت فيه؟
إننى أقرأ كل «يتس» وأذكر جهدك معه
هل تذكرين تلك الأيام كما أذكرها؟
هل يمكن لك أن تعرفى أننى لك القرين المحب؟
كل أدب مضحك لأنه استعارة
ولا بد للأدب وللحب وللمعرفة أن تخرج من الاستعارة
إلى المواجهة المباشرة للموت وللحياة ولهذا الفراق.
ما أصعب الفراق الذى لا معنى له بين من يموت ومن يحيا،
نعم بين من يموت ومن يحيا

هل تذكرين «برج يتس»؟ وهل تذكرين «بيزنطة»؟
كل إبحار هو إلى بيزنطة وليس إلى البرج
ولكن كل واقع هو الذى يعيش ويحيا
لأن الموت يأخذ كل شيء، ولكنه لا يخفى شيئاً.
هأنت موجودة قائمة، وتصنعين كل حياتك التى اعتدت عليها
والتى أُحس الآن أننى لم أُعطك فيها ما تستحقين
إنك تستحقين الكثير الذى لا يمكن أن يعطيك إياه إلا الموت
وأنا أيضا لن يعطينى ما أريد إلا الموت.

رجال ونساء

ليس من المضحك أو الناقص أو الخاطئ
أن هناك رجالاً ونساء،
فليس هذا تطوراً فى البيولوجى،
ولا تطوراً أو تدهوراً فى العقل
إنه إصعاد متصل فى عملية الخلق
لصناعة الروح الإنسانى الشامل
الذى يقف أمام الآلهة
والذى ينفى كل موت.
الروح الإنسانى أكبر من أى دين، ولا يخضع لأى طقوس
وكل ما يصنعه فى ذلك هو إخفاء لروحه.
فروحه، هى هذا المزج الكامل بين الرجل والمرأة،

هى هذا التجمع الجسدى والروحى والعقلى لكليهما
إن لم يحدث هذا التجمع، فليس هناك حرية
وليس هناك تحرر، بل الكل فى عبودية،
عبودية تصور النقص والخطأ والخطيئة.
فالمرأة هى امتداد الرجل للحياة، وهى امتدادٌ للعقل الكلى
وهى أخيرا نجاحه وصراعه مع الموت
وفيما بين الرجل والمرأة، يقع هذا الأمل فى الخلود والإصعاد المتصل
إلى الخلق الأول والروح الأولى للكون.

حزن

عندما تكاثرت عليّ الغيوم والهموم

وبلغت حد اليأس، الذى هو إحدى الراحتين بعد الموت

أدركت أن ضيعة الإنجاز وغيبة الأصحاب

هى واقع أساسى مرتبط بالشيخوخة والضعف

بل والعجز عن الحركة

وما زال قول «كيركجورد» عن نقاء القلب بعدم الإنشغال إلا بأمر واحد

حقيقة قائمة لا نزاع حولها.

الخطأ منّى والعجز منّى

ولكن الذى ليس منّى، هو الزمن وهو الناس

كم أود أن أصيغ باللاتينية هذا العجز

إنه مثل الحزن بعد الجماع،

لا مهرب منه.

الأفيال تأكل المكان

رأيت فيما يرى النائم
أن جميع الأفيال من آسيا وإفريقيا
ومن حيث لا أعرف
قد اجتمعت جميعا أمامى فى زحمة فريدة
تتلاحم فيها أجسادها وأنيابها
وتحتك بعضها مع بعض
وليس أمامها شيء تأكله أو تفعله

ولكنها تُصدر أصواتاً، كأصوات الأم وهى ترضع أطفالها.

وعندما نظرت إليها مجتمعة

عرفت أنها تأكل المكان

نعم تأكل المكان

وتستعد لأن ترقد لتموت.

الأفيال أكلت المكان ونامت

واحداً بعد الآخر فى رقدة طويلة لا قيام منها

فقد أكلت المكان ولم يعد لها زمان.

كلما

ما زلت مشغولاً بـ «كلما»

فهل هى ظرف زمان؟ هذا كلام مضحك

فهل تشير إلى التعدد أم إلى تفرد المرّة؟

كلما دخل عليها زكريا المحراب

هل هذا يعنى مرات عديدة أم المرة الواحدة؟

فهناك فارق بين التكرار والكثرة،

الكثرة هى نفس الشيء، بينما التكرار يكاد يكون معجزة.

«وجد عندها رزقا»، هذا التعبير يُخلّص المرء من الكثرة والتكرار،

بل يُركّز العين على الرزق القائم أمامها

ويقوم السؤال: هل الرزق هذا دائمًا موجود

أم هو ما يراه زكريا فى المرة الواحدة؟

تناقض اللغة وإفلاس النحو غريب وقائم

«فكلما» فوق كل ظرفية زمانية

ومتناقضة مع الكثرة والتفرد دائمًا.

التأمل والأمل

التأمل هو البحث عن الأمل

والتوصل إلى فرجة من النور وسط محيط الظلمة والجهل واليأس

وهو طريق الوصول إلى الحق عند المتصوف

الذى يستحضر القدرة الإلهية فى داخله

ليرى من خلالها النور.

وعند المفكر الذى يقلّب من خلاله صعوبات الفهم والإدراك

ليصل أخيراً إلى ما يظنه حقيقة

وهو فى آخر الأمر بالنسبة للفكر،

إعادة صياغة الواقع ليصبح مرئيًا، كما تريد الروح

وهكذا، قد يكون التأمل، إعادة للظلمة وللجهل!

ويا ضيعة التأمل، إذا لم يصل إلى الأمل.

عاد الشعر

عاد الشعر بعد أن جفت ينابيعه
وكأنما كان العالم يحشد الإرهاب لمحاربته!
ومع ذلك، لا أظنه سيموت أو يتوقف،
فهو حر كالوجود،
حى كالحياة،
جميل كجمال السماء.

نعم سيعود الشعر،
ويجب أن نظل نكرر دائمًا
كلمة المؤمنين أمام معجزة المسيح:
«نعم لقد قام»
«نعم لقد قام»

الشعر لا يختفي فهو كالإله لا يموت،
بل يُجحد من غليظ القلب الذي حُرم نعمة النور
ومن يجحده، يلحقه العار إلى الأبد
مثلما يلاحق العار توماس إلى أبد الآبدين.

نحو ٢٦ سبتمبر

هل الموت إلا فضاء
بمعنى أنه فسحة للوجود أو التواجد وللتذكر
وهل هناك فسحة بعد ذلك
كل ما هنالك بعد ذلك هو ما نسميه الموت
ولكنه مرة أخرى ليس إلا فضاء

إذا كنت ترقدين الآن فى الفضاء
فأنت مقدمة على عيد ميلادك السابع والسبعين
فهل تصدقين أنت ذلك
أم تختفين فى راحة الفضاء فلا تذكرين
غير أننى أذكر وأذكر عيونك المتعبة
عندما تحاولين الاستيقاظ وكأنما أنت قادمة من الفضاء
لقد مارست الموت كثيراً
وعلَّمتنى أن أعلمه بل وأن أريده لك ولى
فما أبسط الموت الفضاء

الموت هو كينونة الواقع عندما يتشكل بالعدم
والعدم معنى منفى تمامًا مثل الموت
فليس هناك عدم كما ليس هناك موت
لأن الكينونة تحلق على كل شيء كنسر الفضاء
فهيا استيقظى من فضائك الذى اخترته، وتذكرى..!
وعندما يجيء عيد ميلادك، انعمى بالموت فى الفضاء
فليس أنعم من هذا ميلاداً

فى هذا الفضاء الذى بلغته وحدك
بعد كل الوحدة وكل الألم وكل الوجع
ومع هذا كله، حققت وحدك الفضاء
وتركتنى أبحث عن الفضاء فلا أجده
وأبحث عنك فتضحكين لأننى أبحث متأخراً
ككل ما فعلت فى الحياة
نعم كل ما فعلتُ كان متأخراً
وكيف لا يكون المرء إلا متأخراً ما دام لم يبلغ الفضاء
نعم ما فائدة الذكرى والتذكر
إذا كان هذا الطريق الذى سلكته
طريقًا لا يسمح إلا بمرور واحد

ولا يستطيع أحد أن يغامر فيه مع أحد
كل أحد، أحدٌ حتى يدرك الفضاء
فهل يمكن أن نلتقى فيه
وهل يمسح الفضاء كل الألم والوجع والتأخير
لا، لا أظن فهذا لا يمسحه ولا يسامح فيه أحد

ما فائدة الذكرى والتذكر إذن؟
هل يمكن أن نملك الفضاء بتجربة الكينونة
وهل يمكن أن تبلغ الموت بآخر التأخير
أم سأظل دائماً كما أنا الآن فى آخر التأخير
ليس هناك كمالٌ، أو اكتمالٌ، أو بلوغ
إلا فى الفضاء
وقد تتكرر الأوقات والمواعيد
ويظل التأخر والتأخير قائمًا حتى يحين الفضاء

٢٤ / ٩ / ٩٩

---

٢٦ / ٩ / ١٩٢٢ عيد ميلاد صفية عبدالرحمن

الكينونة هى الجزئى

بعد قراءة «هيوم» وقبله «بركلى»
ما زلت أقول إن الكينونة هى الجزئى
أى هى الرفض الكامل للقانون وللتعميم
فالعلم والحكمة Pyudence هما أساسًا فى معرفة الجزئى
ومعرفة الجزئى هى الفن وهى أيضا صناعته
ماذا أريد أن أقول غير الاستمساك بالجزئى
الجزئى هو الكينونة وهو الإدراك وهو الحقيقة
كل ما نعرفه فوق ذلك هو مجرد خداع وبلاغة

هل نستطيع أن نتجاوز الجزئى
هذا مستحيل فى الرؤية وفى الإدراك وفى الفن
لماذا لا نصمت عن هذا؟

لأن المطلب الحى أكبر
وهذا هو الجديد، الحى،
ما هى العلاقة بين الجزئى والحى؟
لا أدرى ولا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال
فالحى هو الجزئى عندما يكون حيًا
وهذا معجزة فى الوجود، وفى الإدراك
المعجزة دائماً قائمة لأن الجزئى هو القائم
وإذا كانت المعجزة تريد أن تلغى الجزئى
فهى ليست معجزة، بل تكرار سخيف للوجود

٣٠/ ١٠/ ٩٩

«علموه كيف يجفو فجفا»

ما زال هذا البيت أو المصرع يجادل الشعر معى

وأنا أقصد بذلك أنه يلامس المثال الأعلى للشعر

الذى لا أدرى أين هو ولكنه ككل مثال أفلاطونى

قائم وموجود وواقعى

لماذا استطاع أفلاطون أن يتصور هذه المثل

ولم نستطع نحن أن نقاربها

الشعر مثال قائم وموجود وواقعى

ولن نستطيع أن نهرب منه

فكل شعر نكتبه ليس فقط محاكاة بل انحدار

وليس كل شعر نكتبه إلا تطلعًا مفقوداً ضائعاً

لهذا المثال الذى لا يمتلك

هل هذا كلام مفهوم، وكيف يمكن أن يكون مفهومًا؟

وهو إما إنكار لواقع أو نفى له

ويظل الشعر المثال هو القائم الواقعى الموجود.

إن بيت شوقى بما فيه من «علموه» وما فيه من «فجفا»

سر غامض حتى نعرف صلته بالمثال

ولكن ما هو المثال؟

هو الشعر الخالص الذى عاشته مدارس كثيرة

ولكنه أيضا الشعر الذى لايتحقق وهذا هو المهم،

فالشعر لا يتحقق ولكنه يقارب ويحاكى ويلامس المثال

والمثال فى حد ذاته نفى لكل تحقيق لأنه مثال

أليست هذه هى متعة الكلمة وفى نفس الوقت متعة المحاولة

الكلمة هى التحقق الذى لا يكون إلا بالإنسان المصلوب

والمحاولة هى رفع الصليب فوق الرأس للدفاع عن الرب

فهذا بالتالى سقوط وإعلان للإفلاس الإنسانى

٩ / ١٢ / ٩٩

اللغة الغول الحى

ليست اللغة رؤية أو معنى ولكنها فعل وامتلاك
ولهذا فأنا أخاف من اللغة
كما أخاف من الغول الذى يأكل العظم قبل اللحم
وليس اللحم قبل العظم كما يجب
إنها وإنه صاحبا الغين التى تبدأ الغياب
والتى تصنعه
اللغة حضورٌ مُغَيِّبٌ للمعنى وللرؤية
ولكنها غياب للمتلقى الحاضر الذى هو أنا وليس أنا
هناك من يصنع من اللغة جهازاً لممارسة الجنس
أو لممارسة السلطة، وكلاهما فعل غريب عن اللغة
شطحات الصوفية أو مواقف النِّفّرى
كلاهما توقف عند غولية اللغة

فهى الغول الذى لم يهزمه هرقل
ولن يهزمه بطل
وليست قوتها فى حضورها،
بل فى قدرتها على تغييب من يقترب منها
وكأنها لعنة «ميداس»
التى تحيل كل شىء تلمسه إلى غياب أو ذهب، نعم ذهب
الأبطال الذين يقتلون اللغة هم النُّحاة
ومن يخضعون لها هم أصحاب الصرف
وبين الاثنين ينهزم كل كاتب أمام الغول الحى

٢٣ / ١٢ / ٩٩

عودة حرف الـ«ح»

عاد إليّ حرف الـ «ح» وهو لم يغب
فتلك المفاجأة هى إفصاح عن الاستمرار
فهو لن يغيب أبداً عن روحى
بل ظل دائمًا فاعلاً مشكلاً لهذه الروح
لقد جاء وعلى وجهه علامات من قديم الإنكا
ومن سطوة الأصنام القديمة
ومن كل ما فى الحلم والروح الضائعة من معنى
فهل هو روح ضائعة أو أنه معنى لم يُفهم
وإفصاح ظل مذكوراً لأنه أقوى من الحياة
ولأنه أصدق من الدين
ولأنه أكثر تعبيراً عن الروح من كل محاولات الفن.
عندما نظرت إليه الآن وجدت أنه يعاتبنى
ولكننى لم أرتكب خطأ فى حقه
لقد ارتكبه الآخرون
وها أنا أسمعه من جديد، جديد الصوت والنبرة

صادق الصورة متطلعًا إلى مستقبل التعبير واللغة
إنه حال من استحالة الركود والأمن
وتطلّبٌ دائمٌ للثورة على ما حققه العالم والحضارة
هل يرضى عندما أرفع له ذلك
أم سيظل غاضبًا نافرًا متأبيًا على هذا الكائن المتعزل
الذى فرضت عليه الدنيا هذه العزلة.

لقد عاد حرف الـ «ح» يحمل عربته
المكللة بزهور «كان وكأن».
وبالفعل السحرى: «خرج يخرج فهو خارج
وهى خارجة عن طاعة زوجها»
وبكل هذه السلال المحملة بالقمر المشنوق
وبالوضع الحر للمرأة
كما أنه عاد يحمل هذا المستحيل
الذى لا يعبر عنه إلا الحرف
والذى لا يمسك به إلا سحر الأوائل
وطقوس القدامى
هذا الحرف قد عاد لأن اللغة قد ماتت
ولم يعد فيها إلا الحرف وحده
وها أنا أفتح قلبى وعقلى له

فهل يعود أم يتأبى على كل فعل دائمًا

حرف الـ «ح» هو القارب
للحياة بالحب والرحلة إلى الوضع الحر
للفرد، وللمرأة قبل الرجل
لأنها مصدر الحق والخير والجمال
ومنبع الحب والحنان للطفل والعجوز
وفى هذا القارب يتحول الماضى
من كان إلى كأن والمستحيل إلى واقع.
يا حرفى الوحيد امنحنى الصدق
والرؤية والقدرة على تجاوز اللغة
إلى الحرف الذى لا ينحرف
كما تنحرف الكلمة أو تكذب الجملة.

أصوات الليل

أصوات الليل ذات لون وحجم غير أحجام أشياء النهار
تحمل أسرار النائم الذى صحا
وتحمل أحلامه التى لم تتم
وتظل لمن يسمعها أسراراً أو شبه أسرار
أسرار يقولها الصاحى لمن هو نائم
ويعرف أنها لا تتم
ولكنها أسرار مثيرة تتسمعها الأذن
وتريد أن تعرفها وأن تفضّها
فالسر فى أصوات الليل عميق خفى متفرد
السر فى أصوات الليل خاص عميق خفى
ما الذى يجعل الأسرار تكثر وتتوالد
فى أصوات الليل؟
وما هى هذه الأسرار؟
كل نائم له سر
وكل متيقظ له سر آخر.

تأمل

عندما تبطل الكتابة والقراءة، تتفتت الروح وتتكسّر كما يتكسّر الزجاج، وعند ذلك تبطل الأساطير المنسوجة حولها من الدين والفلسفة، ويظهر تتين زيف هذه الأساطير، فالروح ليست خالدة كما يُظن وليست قبسًا من المطلق، ولكنها وظيفة من وظائف البدن مصنوعة كغيرها من الخوف والرغبة.

وهي تستخدم الفكر لتغطية أصلها أو منشئها وتنسج أساطيرها ولكن سرعان ما تكشف هذه الأساطير عن زيف حقيقي ويتبدى واقع الروح البسيط المصنوع من المعاناة في الحياة كما هو مصنوع من الخوف والرغبة.

حُبَان

هناك حُبَّان للرجل الإنسان
حب يدفع الكينونة إلى الوجود دون كُن أو إله
وحب تتطلّب المرأة فيه ثمنًا للجسد.
وعندئذ يبسط العدم جناحيه على الوجود
ويستحيل كل صخر أو نبات على الأرض
إلى حجارة من سجّيل،
وتستحيل نظراتها إلى خناجر
وكلماتها إلى سم ناقع.

ولكن الحب وجود لا تذهب به خيانة
أو يذهب به ضعف القلب والإنسان
فما أرحب الحياة والأرض التى تسع الحُبّين
ووا رحمة للقلب البشرى الذى يحتملهما.
سيظل الحب المعجزة الخارقة للوجود والعدم

الوحدة

يا خالق الوحدة كيف صنعتها
وكيف صنعت كل أولئك البشر؟
ماذا يفعلون بأنفسهم
عندما يصبحون وحيدين؟
ماذا يصنعون إذن؟
هل نستطيع أن نقبل وأن نرضى بالوحدة؟
لماذا هى حقيقية إلى هذا الحد!
ماذا تنوى أن تفعل بنفسك؟
ما أكثر الناس وأقلهم أمام الوحدة!
هل ما تريد هو الموت؟!

الموت علينا حق!

قضية «الموت علينا حق»

قضية مرنة ملتبسة

ولا أظنها حقًا

فالحق هنا لمن؟

لمن أعطى، أم لمن أخذ؟

والحق لمن يملكه

لأنه إذا كان مملوكًا

فهو ليس حقًا، بل هو ملك للمالك

والموت هو كذلك، لمن؟

أهو عبث حقًا يا من عنده الوجود

وهل يمكن أن تعبر عن وجودى

وعن وعيى وعن ذاكرتى؟

مستحيل، فهو إذن ليس حقًا!

أغنية للذاكرة والتذكر

مُس، ويُمس فهو ممسوس
ومن لامس النساء، فعليه إعادة الوضوء
وما أبعد الشقة بين الأمرين
وما أغرب الجمع بينهما
الممسوس من مسّه الشيطان
وهو موجود فى كل حس
وفى التذكر
وما زال التذكر غامضًا والذاكرة مخفية
فمن أين يأتى تذكر اللمس والطعوم
ومن أين يأتى تذكر الرائحة
ونحن جعلنا التذكر عملية!
وهو معاشرة مباشرة للعالم ولظاهره
وليس هناك أعقد من ذلك على العلم
فلماذا لا نعترف بالجهل
ونغنى للذاكرة والتذكر!

الوقت يمر يا حبيبتى

أريد قلمًا يكتب بالخط العريض، هل تفهمين؟
أريد خطًا يكتب بالصوت العالى، هل تسمعين؟
أريد صوتًا نافذًا واصلاً إلى داخلك
فهل تفتحين أبوابك وتحسين؟
انظرى، هذا جرح، هذا دم يتساقط
المِسِى إن أردت، فالجرح له شفاه
وكل مساس حتى بالرؤية
يفتح الجرح ويطهره
ماذا يتبقى بعد ذلك؟
الحب، فالبدن قد رقد وكأنه مات
وفى الروح ما زال يصطرع وسيظل مع المعنى
الذى يريده، حتى يحصل عليك
يا أعز وأجمل ما أحاول أن أملك
لقد امتلأت عيناى مرة أخرى بالدموع
وأنا أصبحت أكره ذلك الضعف فى نفسى

لم يعد ممكنًا أن أتحدث أو أن أكتب
لقد انتظرت حتى كادت الخيوط تنقطع
وعندما تنقطع ماذا سنفعل
لقد أعطيت، أعطيت، حتى لم يعد عندى
غير ما أستطيع من موت أو نهاية
لم يعد عندى غير ما أستطيع من موت أو نهاية
لماذا لا يهزّك ما أُحرك من معنى
وماذا تريدين حتى تتحركى؟
التداعى، السقوط..
النكران والتجاهل..
هل هذا ما تنتظرين؟
وهل كل هذا من تجارب الماضى الذى تسترجعين
لم يعد لي، لم يعد لنا
فقد أصبح الآن ضدنا
الوقت الذى يمر يا حبيبتى.

اللغة

أنا أرتعد من اللغة
فكلما مرت بفكرى أو على لسانى كلمة
أحسست أنها مشحونة بتيار كهربى صاعق
فإذا كانت اللغة لا علاقة لها بالواقع
فلماذا ومن أين يأتى هذا التيار من الفكر
وهذه القدرة الكهربية الصاعقة
فلنسأل مرة أخرى..
كيف ينتقل الفكر إلى اللغة
ويملؤها بهذه الشحنة الدائمة فيها
حتى وإن لم يتحرك الفكر
ما أغرب اللغة وأصعب فهمها.

قمة حُبّى

قمة حبى للمرأة، هى لحظة استسلامها
ولحظة استعدادها للغرام وتقبّله
هى لحظة يستحيل فيها الجسد إلى دعاء
ويمتلئ الثدى بحثًا عن الأمومة
وعندها تمتلئ المرأة جمالاً وحسنًا
ولا يريد الرجل شيئًا بعد ذلك
وعندئذ يصح أن يُقال:
إنه يجلس منها مجلس الرجل من زوجته

مرثية لواحد من العامة

لا تغضب، لا تحزن، ولا تأسف أو تندم على شىء
لقد تمتعت بحياتك وهى توشك على الانتهاء
فلا تغضب، ولا تحزن، ولا تأسف أو تندم على شىء
شربت الراح من كل لون وطعم وعمر
ولم تفقد الوعى أو ترتكب الحماقات
وعشقت المرأة طفلة وابنة وعشيقة وزوجة
ولم تخن أو تعتدِ، فكل خيانة كانت قبلك من صناعة المرأة
تزيد العلاقة توهجًا وتزيدها أسراراً ووهجًا فى القلب

فلا تغضب ولا تحزن أو تأسف أو تندم على شيء
قرأت آلاف الصفحات والخرائط واللوحات
وقدمت النصح والمحبة لكل من طلب
لقد علمت الآلاف ولم تطلب رداً أو بديلاً من أحد
فلا تغضب ولا تحزن ولا تأسف أو تندم على شيء
كتبت كل ما أردت فوق ما أردت
فلا تغضب ولا تحزن أو تأسف أو تندم على شيء
بل ادفع زورقك إلى الشاطئ الآخر
واتبع المهايانا وتخلٍّ عن الزورق والمعتقد

التفكير

التفكير هو سر عظمة الإنسان

وهو السر فى قيمة وجوده

ضع التفكير على الوجع يخف

وامسح بالتفكير الجرح يصبح احتماله ممكناً

ما هو التفكير؟

التفكير تذكر وحضور للوعى

فالتفكير يبحث عن جديد ما حدث ويراجعه

ويرتبه ويستخرج معانيه

أما حضور الوعى فهو الشرط الضرورى للتفكير

وحضور الوعى هو صفة الإنسان وخاصيته الأولى

الأمل

عندما ينقطع الأمل كما انقطع معى

ويصبح المستقبل بقعة ساكنة آسنة

يظل التفكير هو الأمل

وهو الرب الحق

ما هو الفارق بين الفرد الحى والإله المجهول؟

الفارق هو فسحة التفكير

وهو روح الإنسان الذى يظل يفكر حتى ينتهى

وما النهاية منك بأمثل

وإذا لم يكن باستطاعة أحد أن يقدم لى العون

فلماذا أرجوه

ومن من؟!

السرور الذى غاب

ماذا تريد الآن.. كأساً وامرأة؟
ولكن أى قيمة لهما فى الحصار الآسن
والمستقبل الذى ضاع؟
هل تستطيع بالبكاء أن تعيد الأمل؟
لا
هل تستطيع أن تجد السلوى فى الموسيقى؟
نعم هى الشىء الوحيد الباقى
يظل الفن معجزة الإنسان الحى
وحتى يموت
وتظل الأعمال الفنية الموسيقية
هى بناء البشر
وأمل السرور الذى غاب

كل الناس مجنون ولكن
على قدر الهوى اختلف الجنون

بيت كله حكمة أكاد أجزم أنه للمجنون
كما أنه يثير أسئلة كثيرة
فما هو قدر الهوى، وكيف يمكن أن يُقاس
وما معنى الاختلاف هنا؟
الهوى والجنون أمران ثابتان
لايزدادان إلا قوة واندفاعًا
حتى يتغير قلب المجنون
وينصرف إلى جنون جديد
وعند ذلك يُنشد شعراً جديداً

طائر الشؤم

يا طائر الشؤم لا تنعق
لقد بلغت المراد
وملأت الأرض والسماء بالشقاوة والحرمان
فاصرف صوتك إلى أرض أخرى
وإلى سماء غير السماء
الأرض يملؤها رجال الظلم والطغاة
وأنا وحدى

روح الإنسان

روح الإنسان أو الأنيما كما يسميها يونج
لايحدها مكان أو زمان
ولكنها تسبح فى فضاءات الكون
مثل المرأة الأولى فى المياه الكونية
وتصنع بكارتها وأطراف جسدها منها
وهى لا يطاولها أى اغتصاب
ولا يتملكها إلا استسلامها الحر للحب
فيا أيتها الروح الإنسانية الكريمة
شرقى أو غربى كما تريدين
وامنحى الحب لمن تهوين
فما من أحد يعطى كما تعطين
وما من أحد يعطى ما تعطين
قولى لى هل تجيبين بالحق إذا سألتك
أم تخشين من الحق الذى قد يخرجك من الجسد الخفى
الذى به حللت؟

هل أنت امرأة، أم الصورة لكل النساء؟
إن العالم والدنيا بدونك صحراء جرداء،
فهل أنت امرأة ونبع الحياة الأول؟
فالعالم والدنيا بدونك بلا حب
كالصحراء البلقع لا فكر فيها ولا وعى

وهكذا يظل السؤال قائمًا مفتوحًا
بلا إجابة
والعالم ممسوحا،
مجرد كينونة بلا كن
وبلا رحمة أو نعمة
ويبقى الشعر يُحوّم على صبار الوجود.

أعمال غير منشورة

تاريخ قديسة

- ١ -

لقد حملتُ إليكِ العلم

العلم، العلم

ها قد أتيت على دراجة.

وأنتِ وراء الخشب،

من النافذة

قد لبست جلابيبك السود

ونسيت أن على رأسك

منديلاً أصفر....

لا - لا تسرعى

فليس لك بهذا الشأن

وراء الشباك

وراء الشباك

فقط تجلسين

دُمْ، دم، دم، دم

أنا هو المحضر.

إحم، إحم، إحم

من، من أنت

أدخل.

صباح الخير يا عم

صباح الخير، بل أهلاً...

هل أنت صاحب الدار

والصاعد، على السلم

أناديها...

نعم.. نعم..

وراء الشباك.

يقول يقول هذا المحضر

لقد نسى الشيخ أو أُنسيك

فلم يترك لك شيئًا

سوى الغرفة

وبنت تلبس الأحمر

ولم تسقط على الأرض

أنف الذى رباها

فمن، فمن، فمن إذن رباها

***

على الأرض حول النبتة السوداء

على موسى، على النار قد مُدت يدُه

- الخفيف منه يصلح المعدة

لقد قمط المنديل على رأسك

ووجهك الحلو أضاء كالنور

والألسنة الحمراء تتماوج فى فم الأفق

وأنا وحدى وبنتى نسلك السبيل

هذه الصحراء، والوحشة، والليل الطويل

رمل فى قدمى وقذى فى أعينى

وأنا أسلك

وحدى أنا

وأنا والبنت

يا رب هذا النور، أنر به مهجتى

يا رب هذا الرفق

ألن به جسدى

يا رب هذا الرِضا...

اسكبه فى جهدى

يا رب، يا ربى

هذى دموعى كالحجر

أنا وابنتى

عند قدميك

تمثال.

هل هو الخيّال (١)، هل هو المصلوب

أم عم، سيدنا

فى الفجر، فى المسا

يدِّن ويدِّن

ونفوسنا تخشع له

***

يا رب، يا ربى

وحدى والمصباح

وابنتى النعسانة

أنقب فى الدولاب

وأفتح الأدراج

وليس للشيخ عندى

من ورق

الكل هنا زينة

والكل هنا ملعب

فلم أكن،

لهذا الشيخ

إلا الروح والمهرب

فأنا أنا

لا أتكلم

ولا أمنع...
ومات الشيخ يا ربى
وأنا وابنتى وحدى
نعم هنا
هنا دائمًا
هنا، وهنا المحضر.
ماذا أصبت أنا
وأصابعى على خدى.
ماذا أصبت، يا حسرة،
وقلبى،
وقلبى كالبرميل المقلوب.
أنا فى داخلى نور
وداخل النور طرقات
وليس للطرقات أبواب.
وفى يدى، أرعش،
وعلى جسدى غطاء.
أنا أفتح له قلبى
- لم أكن أقصد أن تقترب...
ولكن
ولكن هذا الخيّال
والمصلوب

وعم سيدنا.

يا رب هل تحرمنى من الأحلام
أنا أدعوك، بل أضرع
ساعدنى، أنا أريد،
أريد، لا أحلم.
هذا الرجل يرفع فى رجلىّ أعينه
وبنت العم، وجارتنا
عل أذنى
بلعب الحاجب
يا ربى، أنا أريد لو يصبح النور عموداً
ولو ينذاب هذا الزيف
فأمتى، أمتى فيك
أنا أريد لو أتزوج
وبنتى والخيّال
والمصلوب
وسيدنا.

* * *

يا ربى فيما أديم لك صلاتى.
لقد صبغنى الأسود

وانحطت فى عيونى كَسره.

يا ابنتى أنا أرعاك كالعشب

لا يضغط عليك الأسود

حررى شعرك حررى شعرك

أرى النور فى الرُقَيَة

يا ابنتى، يا ابنتى

أنا وحدى

وحدى لك

يا ابنتى يا ابنتى لك أكثر من نشيد

فى كل ما تملؤه السنون

أصل بك

وأحملك.

لقد كان لك إخوة

ماتوا، وهذا الشيخ

واقف.

فلم أبصر لهم جثة

ولم أرقب لهم موكب

لقد ماتوا، نعم ماتوا

وضغطات من الشيخ

تهير الصدر

والأضلع
نعم ماتوا
فلم أبكِ، ولم أشعر
بغير الليل،
فى المضجع
ولكن، ولكن أنت
أنت يا حلوة
يا خضرة سوادى
على صدرى يقع
شعرك
وتحتويك، يا متحركة،
فى كل موجة
أضلعى
نامى، نامى، نامى
نامى، إذن نامى
قد آن أن ندخل المضجع
وأن نطفئ
بدفئتنا
هباب ذاك اللسان.

بمبعدة

عن الشباك

بمبعدة

عن عيون الناس

بمبعدة، بمفردى

أقف، أقف

فى النوم يا ابنتى

أقف هنا، إلى جانبك

أقف

أقف

أقف، أرقبك

---

(١) مارى جرجس أو سان چورچ.

- ٢ -

هل فى طالعى الشوم
إن لفح الهواء يتحرك فى جسدى
لقد ارتعش منى الجسد
وأصبت عند الشباك
بدوْخة
لو أصبت القطيفة لكان أسهل علىّ
لو تأملت المرأة
لكان أسهل علىّ.
ولكن روحى
على النسيم
قد مستها
ذكرى...

نعم، نعم فى هذا الهواء
وعلى القلة، عند الشباك
بعض النعناع.
إذا أقبل
وما إن أقبل
بالحرير الأخضر

على غرفتى يخطر

ويهصرنى، ويهصرنى

وأتغامض وأتناسى

ولا أشعر ولا أتحرك

لأن الكأس قد ملئت.

وأننى، قد أصبحت،

حُبلى.

ولكننى آه، ما زلت أذكر

ما زلت أذكر

وريح النعناع

يشيع الخدر فى جسدى

رحيق الخلد

والراحة

يهزانى إلى أسفل

فأشد الريق من شفتى

وأستعبر

واندّاح، انداح من تحته فى السماء.

* * *

- يا أختى أهلاً

- لا.. لا.. عبتى عليكم

لقد تأخرتم.
ونتحادث، وأتذكر
وتفلت دمعات من عينى
لقد كان الرب والسيد
لقد كان وقد كان
وما أدرى ما أنا أصنع.
أُكبره وأُعظمه
فما لى فى القبر غيره
وأخرج فى الضحى
على العربات
وصندوقى ومخبوزى
وما أحرزت
من صدقات
ونتحدث، ونتذكر
ونبكى على العتبات
أشد المنديل
وأعيرُ خطواتى
وأرفع صوتى
وما يُرفع.
أقول وراء النكرات

وأعيد، أعيد الكلمات
وحولى،
واللطم تماوج
والنسوة يأكلن الأموات
وأصيح
وأصرخ
من فزعى.
وأقطّع فى شعرى
وأجمعه
وأضرب بالجُمْع
على صدرى
وأغوص لأبحث فى
صدرى
وتفر وتهرب حسراتى
وأحس، وجسدى يتخشب،
كأن الميت يأكلنى.
فأفر وأدفع فى كفى
طريقًا، كله
مرعب:
«اليد التى فيها شعر»

«وأسنان صفراء كلها تمباك»
وحوافر الخيال
تنهد فى لحمى
وأسنان وأسنان
نقتص من عظمى
وأدمى، دماء الطمث،
فأصفر، وأتوجع
ويشغلنى ضياء القبر.
فمن يدعونى
لا أذكر
ومن يرجونى
لا أُقْبِل
وأجلس
ومن فوقى الشباك
لا أهُز ولا أهتز
قد نسينى الناس
واحترت فى وحدتى
ماذا
يا رب
اصنع.

* * *

أنا أسمع

أنا أسمع

دقات قلبى

فى السرير

على الملاءة

سلاحف

لقد ساد فى روحى الدكن

واتهد فى جسمى بناء.

أنا أضعف

وأصفر

ولم أعد أنهض

وبنتى، اليوم، ضربوها

فلم أبكِ

ولم أصرخ

ورحت أُشاغل السبحة.

يا ابنتى

لك الله

والأسياد

* * *

نور

نعم نور

ولكنه ضئيل.

دم

نعم دم

ولكنه كثير.

وأنا والأسياد، نهتز ونخوض

فى الدم، فى النور،

فى عرصات البللور.

لقد احتضنت لجسدى وتداً

وعلى الوتد مصباح،

والدم تغزوه الأشعة.

نعم، نحن هنا كثرة

فلا أخجل، ولا أغمض

ولكنى

أرى الصدرا

والرقبة

وخصلات، وخصلات

وبعض الساق

وموجات من النسوان

موجات

مثقلة

وأستشعر أننى طفلة

وأن الثدى والثدى

والثدى، والثدى

والثدى، والثدى

والثدى يرضعنى.

هنا زار

لقد زارنى من زار

لقد أُخْضِعت للرقصة

لقد غلبتنى أوهامى

فإنْ أقدمُ النسوانُ

إن أقدم النسوان

فليهتزوا، وليَعروا

فأنا وحدى

جسدى فيهم.

تم تم تم

تم تم تم

تم تم تم

فأنا المرأة

وحدى وحدى

مع أخواتى

- ٣ -

لقد حلمت كأنني أخدم
بقصر واسع الردهات
وأنني أغسل، وأنني أنشر
وأنني أعجن، وأنني أخبز
وأن الماء والنار
قد التفا على جسدي.
في الماء قرصات
وفي النار لذعات
وعلى الأرض عناكب
لقد دبَّ على الأرض الرجال.
أنا وحيدة بين النساء
لقد أحببت النساء
في هيكل من البللور
فيه عيون تدور
وأجساد لا تعتدي
تسبح كالصغار
في هياكل النور
لقد أحببت النساء
بلا أسنان

ولا دُخان.

لقد أحببت

لقد أحببت لا أدرى...

أأحببت،

أنا أخدم، أنا أخدم،

الحزن والنسوان

والحب فى الخدمة

أنا أخدم، أنا أخدم

أنا أخدم النسوان

لقد ضل منى الخيط

فى مَهْمَه لزجٍ

ورحت أبنى وأرفع

بالوحل أصنامًا.

أصنامًا هى صومى،

هى حزنى وجلبابى.

لقد روضت فى جسدى وقفة

وشددت على عظمى نولاً

أنا أنسج، أنا أخدم

أنا أخدم

فقد أخذ ابنتى التمباك

لا، لم يكونوا شرطة
رجالاً قد تلثموا بوشاح
وعلى الوشاح ذقون
وفى أيديهم عصى
وفى الوسط
فى الوسط
منديل به دم
يحترق
لقد أخذ ابنتى التمباك
لقد ذهبوا بما أملك
وما اكتنزت من عمرى
لقد ذهبوا..
فأنا أخدم وأنا أكنس
وأتصدى للفح الشمس
فهل يطوينى بعد اليوم
أضواء.
وهل أرقب
على الأفق
سوى حرمان
وحرمات.

لقد حل الدم فى الأكل

وما أقدر أن أَجْزع بنتى.

يا بنتى يا بنتى، هل لك رحلة!

أن أحج لك

أن أصوم لله

أن أصوم لك

أن أحج لله

ما بين الرجل والمرأة

قد ذاب فى الصلاة.

- ٤ -

لى هالة
ولى صخر ناتئ
ولى تجاعيد
لى حسن قد دفنه الرمل
لى فزعة على ابنتى
كالشق فى الرمل
لى جفوة ولى إيناس
كبارق النور
وجفوات الصخور
لى على الأرض عرف
وعلى الصحراء سلطان
لى أن أحب وأن أخدم
لى أن أبكى فأتحرر
وأن أضحك فأستعبد
ولى تجاعيد

* * *

لى هيكل
وعلى الهيكل خيّال
حصانه أخضر

يُقَوِّمُ في جسمه حديث
أنا لا أمضغ اللبان
ولكن الخيال يمضغ كتفى
أنا لا أتكلم
ولا أمنع
ولكن الخيال، يصمت
ويمنعنى.
إذا ضربت على صدرى....
لى
صخر
ناتئ.

* * *

لى نور ومياه
وبين البحرين ذراع
هذا النور للناس
وهذا الرِّى للناس
وتلك اليد، نعم للناس
لقد مر الزمان فى خشبى
فاخضرت لى عروق دفينة
أنا أنضر فى المصعد

أنا أرقى على خضرة

أنا إن شئت أن أسبح

على ابن

من الصدق

على هالة

ولكنى أدمى، دماء الطمث،

فأصفر وأتوجع،

٣١ / ٣ / ٢٠٠٥

نزهة قمرية

أحبك يا روح قدر السماء والأرض
كل إيمان، كل شك،
حول جسمك الأخضر أزهار مثمرة،
نور عينيك الدائم
فى عينى لا ينطفئ
لمسة الروح ليديك، لقدميك
لكل خط أو منحنى فى بدنك
إصعاد للروح لا يتوقف.
كل نظرة أو إشارة
من أصابع اليدين
نعمة تفتح أبوابًا سبعة.
هل تريدين أن أعدد الأبواب.
هل تريدين أن أحدد النعم.
كلما حاولت أتوقف،
لأننى أخشى التوقف
الذى يحجب الوعى
ما أحلى يا حبيبتى أن أكون
فى حبك مجنونًا لا أعى.

١٤ / ٨ / ١٩٨٩م
٢ صباحا

بالأمس قبل أن أصحو،
قبلت من جسمك مواضع
لم تقبل من قبل.
وقد تقولين يا حبيبتى
لم يعد على بدنى قبل.
ولكنك لا تعلمين يا حبيبتى
كيف عرفت قبلاتى
مسارب كل ماء فى بدنك.
لقد توغلت حتى كل مياه جوفية،
ووصلت لكل بئر مختزن،
وما أكثر آبارك يا حبيبة
التى لا تعرفينها أنت.
فى داخل كل مداخلك
أجوس لأجمع الماء
والعشب والحجر
وبقايا الجواهر
وسؤر النظر.
ومن هذا كله أعيد صناعة الأرض
وتنسكب روحى ليدفق الطوفان
ولأكون فى سفينتى وحدى
حتى أصالح الأرض.

١٤ / ٨ / ١٩٨٩

يا سمينة بيضاء
ممزوجة بالصفرة
المعصورة من أضواء النجوم.
وضعتها فى جيبك
وأنت تقفين أمامى
بالجاكيت الأحمر
فى هذا الشارع المجهول
فى أويفر سير واز.
هل تذكرين!
لقد أخرجت الغصن
وأسقطت ما فى جيبك من نقود
وعدت وحدك تبحثين
ووجدت ما فقدت.
ولكن اللحظة، والحق الذى
وضعته فى جيبك،
لم يعد لى ولن يعود،
حتى تعصرين لى الصفرة الذهبية
كاللبن من أرض النجوم.

٢١/ ٨/ ١٩٨٩م

جسدك الملقى

بألف طيران من طيور الجنة

هو شعلة متوهجة

مخفية راقدة فى الجليد «بريتون»

ولكنى لا أريد أن أعرف.

نزهة قمرية

- ١ -

تضوى الحبيبة فى الفراش
كما يذوب فى الليل القمر
وتتحقق فى الروح النزهة
بلا زمان أو مكان
لأن النزهة القمرية
هى الأصل فى الوجود
أو هى صورته الأصلية
وماذا نأخذ من المنطق أو التعبير
غير البعد عن ضوء القمر.

فى ليلة من ليالى نوفمبر
خرجت الروح وحدها للنزهة
قلت لها أقصرى فلم ترتدع،
وقلت لها أفصحى عما تريدين،
قالت فى هدوء وفى سكون
كضوء القمر،
أنا لا أريد إلا أن أبقى
مع نفسى فى ضوء القمر.

- ٢ -

وعندما لم أستطع أن أمسكها
وسارت وحدها في الليل
تحتمل مخاطر الطريق
وجدت أنها وحدها
تضع الطريق وما في الطريق
من كنوز ومعارف.
وعندئذ أسلمت للروح نفسي
وقلت إنها تعرف ماذا تريد
من الطريق.

تبسم القمر في السماء
وأراد أن يخفي ضوءه
في ابتسامته الواعية
فقلت هل تحكم، أم ترى؟
قال أنا لا أحكم ولا أرى
ولكنني ضوء مفارق
يتهاوى فيشمل الحب
ويسمح له بالوجود.
امسح من على وجهها ضوئي
وادخل الليل الذي تريد
فثمة في كل ليل، قمر

- ٣ -

يصنع كما تريد النزهة.
هل يمكن لأحد أيا كان أن يعى
بخطوات الروح تحت القمر
إنه المالك المطلق
الذى يقبل بنوره
دم الضحية وصندوق النذور
وعند أقدامه
تسكن الخطوات والأنفاس
فى هوّة مضيئة بلا قرار.

وتسكن الروح فلا تنطق أو تبين
لأنها كما أرادت
قد صنعت نزهتها القمرية
واستدار القمر ليغرب
أو ينام.

١٨ / ١٠ / ١٩٩٠م

لقاء

تجهم الزمن فى وجهى
وسألنى باحتقار شديد
هل تعرفنى.
قلت وأنا أتفقد الثقة بنفسى
طبعا أعرفك..
قال هل تستطيع أن تُعرّفنى..
فتذكرت القديس العليل أغسطس
وقلت أعرفك ولكنى لا أستطيع أن أعرّفك
قال لى هازئا إنك كاذب
فأنت لا تعرفنى ولكن تتواقح بتعريفى
قلت كيف؟
قال لى قل لى من أنا فيما تعرف.
قلت أنت كل الما فى
قال هذه كل قيودك.
قلت أنت إذن المستقبل.
قال أنت كاذب فأنت لا تراه
قلت أنت إذن الحاضر..
قال هل نسيت أنه لحظة لا تمسك ولا ترى..

- ٢ -

قلت من أنت إذن..

قال هل تحتمل أن أخبرك

قلت أرجوك وأتمنى

قال أنا القدرة على الانتقال

التي هي فيك

قلت إلى أين

قال إلى الموت.. وكل انتقال

موت.

قلت ماذا تعنى.

قال: على الأقل عليك أن تفكر

قبل كل انتقال فيما قلت،

وعليك أن تطلب وأن ترجو

أن ترى الموت لتعرف.

٢٥/ ١٠/ ١٩٩٠م

فى بلادى الواسعة العريضة

ضحك الفنانون على الفن

زوّروه كما تزوّر الأوراق المالية

وأصدروه مصنوعًا فى غرفهم الضيقة

على مطابع ما زالت تكسب

من النقد الزائف.

لماذا تكسب ولماذا لا تنغلق،

لقد انتهى الأمن الفنى

كما انتهى كل أمن آخر فى بلادى.

بلا أساطير يصنع الفنانون أساطير

لها شكل الدولار

وبلا أنثروبولوجيا يبدعون بلا مضمون

قوالب تملؤها الظنون والمشابهات القديمة.

بالضبط كما تصنع بلادى السياسة.

ديمقراطية بلا تحقق وحرية بلا هدف

وإعلاء مفضل للمحاكاة الناقصة للغرب

فالتاريخ بالنسبة لنا لم ينته

ولكننا ندرك فى الفجيعة أنه لم يبدأ.

وفى قدور تغلى للشعوذة

تختلط كل المواد بلا قيمة ولا شكل.

- ٢ -

لقد ضحك الفنانون فى بلادى على الفن
وامتلأ كل شكل فنى
كما يمتلئ رحم العاهر بمنى الغرباء.
لا شيء يتخلق ولا ابن قادم.
والعاهر تغتسل بعد كل جماع
بالشامبو المستورد ومعطرات الفم.
وفى البالوعة تلقى
كل ما اشترته لمنع الحمل
وسوت شعرها تقول لنفسها
لا ضرر ولا ضرار
ويبقى رغم كل غسول
عنف المعتدى بلا حب
وامتهان الكرامة للشكل الفنى
وتظل المطابع تخرج الدولارات المزيفة.
الهيدرا تنتصب ملء المساحة بين الأرض والسماء
ولا يجرؤ أحد على قطع رأس واحدة من رءوسها.

الرياض ٢٠ / ٥ / ١٩٩٢م/ ٤,٣٠ صباحًا

إلاه..

يمتلئ الصبح كالليل بالأوهام
ونور الشمس لم يعد قادراً
أن يدخل القلب أو العين
وفى لحظة من لحظات الوجود
تسقط الطبيعة وتتغير
مفعولة منقطعة عن الوعى
فيصنع الفرد ـ الإله العدم
الذى لا يقدر على صناعته
إلاه.

٢٢ / ٥ / ١٩٩٢م
السادسة صباحا

فى كل كلمة من كلمات اللغة
معبد له بهو يفضى إلى محراب
وتاج الأبواب حروف
وفى قدس الأقداس يقبع الصمت.
ومن حسن آداب المعابد
أن تخلع المعنى كالحذاء
إذا أنت أردت الدخول.
وعندما تبقى فى الخارج تسلم
من نقمة الصاعقة
حين يتفجر الصمت
والله هو الحافظ!
من أوهام المعاجم!

٢٢/ ٥/ ١٩٩٢م
السابعة والنصف صباحًا

فى ٥ يونيه ٩٢ يمر الربع الأول من القرن
بعد كارثة الروح والمنطقة
وأمة الوسط.
وتمر السنوات والذى يحدث
تنكسر النصال على النصال
لقد خرجت اليابان من هيروشيما
ولم نخرج نحن من يونيه ٦٧
وكلما أنبت الزمان قناة
ركبت الأمة فى القناة سنانا
يطعنها فى القلب والركب
حتى لا تشعر ولا يقوم
ومهما كسرنا البيت يظل الشعر القديم
أوجع بغيابه وإمكانه
فكل نصر بعد ذلك كان وسطا
بين الهزيمة والنصر
وكل إنجاز إن كان إنجازا
بيت كمبناه ليس له معنى
سوى أنه فضول.

- ٢ -

فمتى سنعلم أن كل وسط فضول

رذيلة بين خيبتين

من العجز والنكوص

خيمتان مضروبتان

على أطلال عفى عليها الزمن

وجثث متروكة بلا دفن

جثث الشهداء على رمل سيناء،

مثل جثث ناصر وعامر وبدران

هيكل وصلاح نصر

وكل من كتبوا فى الغرف والقاعات

فى الاشتراكية العربية

ومشروع العرب القومى

فى المكاتب وزنزانات السجون

ما زالت عارية لم تدفن

ومع كل الحب للموتى الأحياء

وللأحياء الموتى

فإننا كالموتى دفنا موتانا

ولم ندفنهم

- ٣ -

وفى الطريق إلى الغرب

حيث كانت الجبانات

أضعنا أنفسنا فلم نصل ولم نتبع أحداً.

طار عنا حورس ونبذتنا حتحور

وفى تيه النظام العالمى الجديد

ننتظر المن والسلوى

من بوش أو الريان.

٥/ ٦/ ١٩٩٢م

قصائد متفرقة

كلمات على صدر فودة العريفى

لم أقرأ للرجل كتابًا من كتبه
ولم أشهد ندوة من ندواته المزدحمة
بل لم أقرأ له مقالاً إلا واحداً عند صديق
ليوعظنى..
مقالا بعنوان ماذا حدث لعقل مصر.
أود الآن وأنا أقف على جثته
وجثة هذا القاتل
أن يصبح جزءاً لا يتجزأ من كل قراءة مدرسية
لأطفالنا فى مدارسنا وفى تعليمنا الفاسد.
لقد أصبح الرجل دون مبرر وافٍ أو إنذارٍ كافٍ
أول مفكر حر فى واقعنا المعاصر.
صدره الواسع العريفى قد تلقى كل جهالات الظلمة.
قد وقف مفتوحًا بلا حراسة ولا نكوص
أمام الخطر الرعديد القادم من نار الهمجية.
شباب يحركه شىء يسمونه الإسلام
وأول ما يجب أن نفعله لهم
وضعهم لا فى زنازين السجون
بل فى مصحات الجنون.

- ٢ -

الكبار هم المسئولون: الذين يقولون
ويفسرون ويحللون دون أن يدركوا
أنهم سبب المرض ومصدر الفيروس والميكروب
قرأت لأحدهم تصريحا يقول: المسئول
هى أجهزة الإعلام لأنها تستفز المسلمين.
وكأن المسلمين مجموعة من البلهاء
تستفزها الصور والأحلام وترتد عن دينها
بالكلمات.
فساد الإعلام مرض ولكن فساد العقول
سرطان ليس له شفاء.
هناك عقول فى بلادنا لا بد أن تستأصل
كالارتداد والأرحام السرطانية..
إن عقول الظلام تفسد البنات والبنين
وتستولى كالضباع على عقولهم الغضة
وقلوبهم المتفتحة كالورود
وتحيلهم مواسير رصاص وبارود
وحجارة من سجيل
تقصف فى الظلام صدره العريفى
الذى كان مفتوحًا لجهلهم وحياتهم المقبلة.

- ٣ -

لقد ضاع الرجل لأن شيوخًا مخرفة
لم تجد من يقول لها اخرسى،
فخرجوا كصراصير البالوعات،
يغطون بأرجلهم ولحاهم القذرة
جوهرة الإسلام.
وعلينا أن نطلق عليهم جميعًا هذا المفكر الحر
مبيدًا قويًا لهذه الصراصير..
أعيدوا طباعة كلماته
يتشح بإنساننا
الذى خطفه غيلان الجهل والخرافة.

١٥ يونيو ١٩٩٢م

فلنصعد الدرج ببطء
فكل درجة شيطان مريد
وقد تعنى الدرجة القادمة
فقدان العقل والروح
بل والحياة نفسها
فلنصعد الدرج ببطء

كل حديث معها أصبح كالأسلاك الشائكة
كل كلمات أصبحت هوات بلا قرار
ماذا ننتظر إذا استعصى الفهم
وانقلبت المعانى ساقطة
كما يسقط العجوز على الدرج.

وقد ساءت الملاحات مياهى العذبة
وفرص اللقاء أصبحت كلها
حيطانًا وسجونًا.
قطرات الدم والدمع على الدرج
لم تعد كافية
فقد ينكسر العظم وتندق الرقاب.

وعندئذ تجحظ العيون صامتة.

بلا درج ولا صمت ولا كلمات.

١٨ / ٦ / ١٩٩٢م

وردة سوداء قاتمة

قد صنعتها الروح،

من جينات اليأس والإحباط وضياع المعنى

وما أوفر هذه الهندسة الوراثية

فى بيتنا وفى بلدنا العظيم.

كل ما يقدم لى الآن تكرار مستمر

لهذه المعجزة السوداء.

فماذا يطلب منى غير أن أعبد

هذا الرمز الجديد.

أقيمه هكذا فى مركز الروح

وأصلى له فى الإصباح والإمساء

وأهديه لمن أحب

وفى العصر الذى نحياه

ليس ما يدعو لتكرار المعجزات

فمعجزة واحدة تكفى..

١٨ / ٦ / ١٩٩٢م

بلطجية الصعيد والنزهة

- ١ -

تحرك فى بطء ورويّة
ولا تجعلن الأحداث تفقدك اتزانك
فخوارج الإسلام الجدد
يتحركون كالمتسولين القدامى
عرجا مشوهين يبيعون الآثار للأجانب
وصعيدنا المصرى جوهر نادر منا جميعا
قد صنعته أنفاس الآلهة القدامى
وإرادة الأبطال الفراعين.

وفى الصعيد كما فى النزهة
يحاول البلطجية أن يكونوا أبطالنا الجدد.
كان الصعيد وما زال وسيظل
موئل الأحرار من كل اضطهاد
ذهب إليه النصارى عندما عذبهم الرومان
وأقاموا هناك الكنائس والصوامع
جنبا إلى جنب مع المعابد بل وداخلها
وكلما انقشعت غيمة أو غمة
أضاء نورهم وازداد العمى من حولهم.

- ٢ -

وتحركت قطعان من النباح الجائعة
بحثا عن العشب والذهب والفكر المستنير
ولكنها من جوفها هذا حيث تلدنا فى البيت
مثل كبريتات المياه الجوفية
تأكل الآثار والصور والألوان
وتسقط فى الأمية والثأر
وأنقاض البربرية
ماذا يقرأ أولئك الخوارج الجدد
والقرآن يعلمهم القراءة
ماذا يعرفون عن الإسلام
الذى حمل النور والفكر الحر إلى الغرب
ورفع فى سماوات روما وفارس
حق العبد على السيد وأسقط فروق
الجنس والدين.
ماذا يعرفون عن الإسلام البلطجية الجدد
وهم يحيلون الإسلام إلى كراهية
وحب الله إلى تفرقة واتهام بالباطل.
إنهم خائنون كاللصوص جائعون كالكلاب الضالة
فماذا نطعمهم غير أرواحنا

- ٣ -

وغير الكلمات التى هى حق وسلام وعدل.
فليس عندهم غير هذا الأستاذ الجامعى
الذى يخطب النساء والبنات أربعين يومًا
فى عذاب القبر.
ماذا تنتظرون من قوم هذا غذاؤهم اليومى.
وفى النزهة علموهم رامبو وكل بطولات اليابان
دون ورع أو دين
وهكذا استحالت الأمجاد
فى الصعيد والنزهة
إلى بلطجة رخيصة
زهيدة الثمن غالية فقط
فى الدم والأرواح المسفوكة
وعقول مصر التى أكلتها الأمية
والفقر وضيعة المستقبل.
ولكننا نعود جميعًا للصعيد
ونمشى طريق النزهة
صدورنا وعقولنا مفتوحة
مثل الرجل الذى قتلوه
ومثل العابد والصوامع التى لم يعرفوا

- ٤ -

كيف يدخلونها بسلام آمنين..

يا بلطجية.. هذه مصر..

فادخلوها بسلام آمنين

٢٠/ ٦/ ١٩٩٢م

بين Carpe diem و Ubi Sunt
تتحير العقول وتتأرجح أرواح البشر
إذا سعت الروح كما يديد البدن
لاغتنام اليوم وانتهاز اللحظة المليئة بالرغبة
انفتحت عليها أبواب الجحيم الذى لا تفرغ،
صوره وأشكاله، عذاباته ونعمه
فالجمال لا تقتله غير الجمال
واللذة لا يميتها غير التكرار
وأى حب هو سقوط فى هوة
ليس لها قرار.
وعندما تنطق الروح وتقول أين الذين كانوا..
أين مصر القديمة وروما وأين فينوس
وهيلين.. كلهم فى التراب
فماذا تريد أنت، هل تبلى
هل تشتاق وتتحسر؟
أليس أجدر بك أن تحيا اليوم واللحظة.
بين الكاربى ديم والأوبى سونت؟
يتأرجح البدن والروح
حتى ينفصلا
فينحل الوعى الذى هو سر اللغة
وتثبت فى القبر عناصر البدن والروح.

٢٠/ ٦/ ١٩٩٢م

تعال نلعب بالحجر، فإن ثقل علينا
فبالكلمات.
إذا ألقيت الحجر إلى أعلى
سقط ثانية على الأرض
وإذا خرجت الكلمة من فمك
فلم تعد أبدًا إليك.
يضعون الحجر على القبر ليغلقوه
ويضعون الكلمات ليبقروه.
وتستطيع أن تدق الحجر إلى التراب
أم الكلمات تظل بعد كل تفسير
كلمة ثقيلة كالحجر معقودة على نفسها
لا تنحل.
من أى عنصر قد صنعت الكلمات
المعنى فيها غريب غير مستقر
والصوت مهارق خشن غليظ
وتظل دائمًا فى الكثافة والوزن
انقل من كل عناصر الوجود.
أليس الأسلم إذن أن تلعب بالحجر
وأن لا تمس الكلمات
وتغيظها لتلعب مع نفسها كيتامى من الأطفال.

٦/ ٧/ ١٩٩٢م

اجتمع الشعراء جميعًا في وادى عبقر
يريدون قتل الشياطين..
قال شيطان عجوز مات شاعره
وعاش متبطلا منذ ستين
لم الثورة علينا وقد عشنا معا قرونا
قال شاعر شاب غرانق

لم تعودوا توحون لنا بشيء له قيمة
فألقت امرأة من عرائس الجان
لا سن لها ولا اسم
فما هي القيمة يا جميل الصورة
يا خفيف العقل؟
وفي قحة وتحد قال الشاب
أنا..
فإذا بعجوز هرمة مكسورة الأسنان
تسأل في هدوء ودعة
وفيما أنت
قال أنا ألف ألف شاعر وألف ألف شاعر
آخر قادمين خلفنا
فعاد العجوز الأول يسأل
هل جنود أنتم أم شعراء؟

الشعراء لا يتكثرون ولا يجتمعون
هيا انفضوا فلا قيمة لاجتماعكم
على فرس الكميت واصلت السفر
ووصلت إلى الحدود
التي وضعها الله.
هناك نهر وهناك جبل وهناك وديان
وهوات.
وعلى هذه الحدود أقف أنا الآن
بلا هوية ولا مبرر للعبور
ولكنني رغم إرادة الله
أريد العبور إلى ما بعد الحدود
فماذا سأجد ولماذا أعبر
أليس من الأفضل أن أعود
وأن أقبل الحدود
كبرياء النفس تكسر العنق
وحدود الله تعلم الأدب.
ولكن الروح العصية لن ترضخ
حتى تلقيها الكميت على الأرض
لتتركها وحيدة على الحدود.

٢٤ / ١٠ / ٩١

الثالث والنصف صباحا

الإشـــراف الفنــــــى : **هشام نوار**

المراجـعـة اللغـوية : **آمـال الديب**

* مقطوعات مرغمة
* معجزة كل يوم
* عودة حرف الـ «ح»
* تاريخ قديسة
* قصائد متفرقة

الغلاف: عدلى رزق الله




